الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: ...../.....

رقم التسجيل: 085079756

مذكرة مكملة لنيل نيل شهادة الماستر

تخصص: أدب حديث ومعاصر

بعنـوان

تمثلات الذات في رواية "ذاكرة عاشقة" "لـممدوح البقاعي"

إعــداد الطالبة:

حنان سعدي

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

أ.د. عباس بن يحي	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	رئيسا
د.سعدية بن سنيني	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د.ناصر بركة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2019-2018

شكر

الحمد والثناء والشكر لله العلي القدير على نعمه الظاهرة والباطنة, الذي بحمده تتم الصالحات, وبحمده تم لنا هذا العمل واعترافا مني بالفضل وتقديرا للجميل, لا يسعني وأنا انتهي من هذا العمل, إلا أن أتقدم:

بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة بن ستيتي السعدية, لقبولها الإشراف على هذا العمل, وتخصيصها لجزء من وقتها ومجهودها لتدقيق هذا البحث وإخراجه بالصورة التي هو عليها اليوم.

وبخالص الشكر والتقدير إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذا البحث وتقييمه.

إلى قسم الأدب العربي –بأساتذته وطاقمه الإداري–

كما أشكر كل الزملاء في دفعتي على كل ما قدموه لي.

ولكل من دعمني ولو بكلمة طيبة.

مقدمة

مقدمة:

يعد النص الروائي المعاصر جزءً من منظومة نسقية علائقية متفاعلة يرتبط أيما ارتباط بالذات الفردية والجمعية، الأمر الذي يحيلنا إلى التلازم الموجود بين الإنتاج الأدبي والعصر، بين ذات المبدع المعاصر وواقعه الحياتي، وفي خضم التحولات التي يشهدها الواقع العربي كان لزاما أن تشهد الرواية بدورها تحولات كثيرة إن على مستوى الشكل أو المضمون.

إذ لا يخفى علينا أنها جنس مرن أكثر ما يميزه قدرته الاستيعابية التي جعلت منه فضاءً رحبا من شأنه أن يطرح أفكار الذات وهمومها، ويعكس رؤاها وتفاعلاتها ويحدد خصوصياتها، إنها وببساطة جنس مرآوي للذات الإنسانية لصيق بفكرها ووجدانها ومنفتح على جميع أنساقها يتيح لها إمكانية التعبير- إما مباشرة أو مراوغة- عن ذاتها وما يربطها من علاقات تأتي في مقدمتها علاقتها بالآخر الخاضعة في كليتها لمختلف السياقات التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية...

والحقيقة أن الرواية العربية أثارت عبر مراحلها المختلفة أسئلة الذات وما يعترضها من أزمات وتصدعات عمقت الهوة بينها وبين الآخر المنشطر عنها والمعادل للذات الجمعية (النحن) وكذا الآخر الأجنبي الدخيل الذي تراوحت رؤية الذات له بين التعظيم والتقزيم، بين الرفض والقبول مميطة بذلك اللثام عن علاقة الذات بالآخر.

وأمام تمزق الذات العربية بفعل الآخر الإسرائيلي وتحدياتها لسياساته القمعية الساعية لإبادة الذات الفلسطينية وإلغاء هويتها نلحظ تلك الخصوصية التي تكتسبها الذات في الخطاب الروائي الذي موضوعه الذات الفلسطينية؛ إذ تَبْرُزُ بشكل واضح معالم البحث عن الذات وسعيها الدؤوب لإثبات وجودها والدفاع عن كينونتها رغم مأساتها وضياعها، وهذا لا يظهر على مستوى النص الروائي فحسب بل قد يتجلى للقارئ من خلال النصوص المصاحبة المجسدة في العتبات النصية للرواية.

وبناءً على ما تقدم ذكره تتبلور إشكاليتنا في الأسئلة التالية:

- **كيف تمظهرت الذات وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية؟**
- **إلى أي مدى استطاعت العتبات النصية تشكيل الذات المسرودة في الرواية ؟**
- **ما هي الخصوصية التي تكتسبها الذات الفلسطينية في الرواية التي تطرح إشكاليتها؟**
- **أين تكمن محنة الذات الفلسطينية في مقابل الآخر في رواية ذاكرة عاشقة؟**

ومن ثم تم تحديد موضوع بحثنا تمثلات الذات في رواية "ذاكرة عاشقة" "لممدوح البقاعي" وللولوج إلى الموضوع اخترنا ثلاث نماذج روائية كل واحدة تمثل مرحلة زمنية معينة ففي الثلاثينيات من القرن العشرين اخترنا: "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، والأربعينيات "قنديل أم هاشم" ليحي حقي، ومن الخمسينيات "الحي اللاتيني" لسهيل إدريس، وهذا لدراسة تمظهر الذات في الرواية العربية.

أما بخصوص العتبات النصية وخصوصية الذات الفلسطينية التي تتخذ منها الرواية مادة خام فقد اخترنا "ذاكرة عاشقة" لممدوح البقاعي كي تكون محور الدراسة وذلك لم يكن جزافا بل وليد جملة من الأسباب الذاتية والموضوعية تمثلت في رغبتنا وميولنا إلى هذا النوع من الدراسات الذي يمنح الباحث حرية أكبر في القراءة والتحليل إلى جانب جدة الموضوع وغياب أي دراسة حول راوية "ذاكرة عاشقة" والأهم وعينا بضرورة التعمق في دراسة الذات الفلسطينية في الرواية والنابع من إيماننا أنه يمكن ن خلال هذه الدراسات فتح آفاق ورؤى من شأنها أن تضيف ما ينفع القضية الفلسطينية.

وتجدر بنا الإشارة أن دراستنا كانت في إطار ما حوته ساحة النقد الثقافي معتمدين دائما على العلامة الدلالية وتأويلاتها، ولقد اقتضت وجهة البحث تقسيمه إلى ثلاث فصول وخاتمة.

تطرقنا في الفصل الأول الذي عنوناه بـــ: تمثلات الذات في الرواية العربية إلى مفاهيم الذات والآخر والعلاقة بينهما ثم انتقلنا إلى تمثلات الذات من خلال "عصفور

من الشرق" لتوفيق الحكيم، "وقنديل أم هاشم" ليحي حقي، "والحي اللاتيني" لسهيل إدريس، بعدها عرجنا على ملامح الذات في رواية الستينيات.

أما الفصل الثاني الذي أتى بعنوان تمثلات الذات عبر العتبات النصية في رواية "ذاكرة عاشقة" تناولنا فيه التأطير المفاهيمي للعتبات النصية ثم تقصينا بعد ذلك الذات عبر العتبات النصية من خلال صورة الغلاف، اسم الكاتب، العنوان.

وأخيرا كان الفصل الثالث الموسوم بمحنة الذات الفلسطينية وصورة الآخر في رواية "ذاكرة عاشقة" مجالا لمعالجة البحث عن الذات وتمثلاتها من خلال ثلاثة مباحث فكان المبحث الأول معالجا للذات والأزمة التي تعيشها لذا عنوناه الشتات وأزمة الانتماء، بينما المبحث الثاني جاء في مقابل سابقه مواجها له وسم بـــ: ترميم حس الانتماء لدى فلسطيني الشتات، ولأنه لا وجود لذات بلا آخر اقترحنا مبحثا ثالثا مخصصا لصورة الآخر الإسرائيلي وبطبيعة الحال ذيلنا بحثنا بخاتمة ضمناها أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

وقد استعنا في هذه الدراسة بمراجع عديدة نذكر منها: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه للطاهر لبيب، تمثلات الممنوع والمقموع في الرواية العربية المعاصرة لبعلي حفناوي، صورة الأنا والآخر في السرد لمحمد الداهي، صورة الآخر في التراث العربي لماجدة حمود.

وقد أسهمت هذه المراجع وغيرها بطريقة مباشرة في إضاءة وإثراء هذا البحث.

وأخيرًا لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى الأستاذة المشرفة "بن ستيتي سعدية" على صبرها وتحملها مشاق هذا البحث، فكانت خير ناصح وموجه، كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين قبلوا مناقشة هذا البحث والشكر موصول إلى طاقم قسم اللغة والأدب العربي.

الفصل الأول

تمظهر الذات في الرواية العربية

توطئة

أولا: في فضاء المفهوم

1-مفهوم الذات

أ-اصطلاحا

2-مفهوم الآخر

أ-لغة

ب-اصطلاحا

3-العلاقة بين الذات والآخر

ثانيا: تمثلات الذات في الرواية العربية

1-الذات والآخر في الرواية العربية

2-عصفور من الشرق واستكشاف الآخر

3-قنديل أم هاشم وأوهام الذات

4-الحي اللاتيني وصحوة الذات

5-رواية الستينيات وتشظي الذات

توطئة:

حظي موضوع الذات باهتمام عدد كبير من الباحثين والمفكرين في مختلف العلوم الإنسانية، وذلك نظرا لأهميته الكبيرة التي أدركها الإنسان، إذ منذ بداياته وهو يحاول استكناه ذاته التي تستوجب بدورها استكناه الآخر الذي لا يمكن تغييبه، في إطار هذه المحاولة ما يقودنا إلى الجزم أن حضور الذات يستدعي حضور الآخر الذي لا تتأتى للذات معرفة نفسها بمنأى عنه، وسواء اعترفت بذلك أم لم تعترف فإن الآخر النقيض «ليس غريبا عنا بل هو مندس فينا متبطن لنا منزل في أعماق الوعي واللاوعي»[1]ومرد هذا أن جدل الذات والآخر وجد بوجود الإنسان الذي كان «يبحث منذ البدايات عن مرآة يمكن أن يجد فيها صورة هويته المشتتة»[2]، ويعكس هذا البحث رحلة الذات وسعيها الدائم من أجل إدراك ذاتها (الوعي بالذات) والذي لا يتحقق إلا عن طريق الآخر.

أولا: في فضاء المفهوم

1-مفـــهوم الـــذات:

أ-اصطلاحا:

تعرفها موسوعة لالاند الفلسفية بأنها «ضمير عاقل للشخص الثالث للغائب، أضفت عليه اللغة الفلسفية بعض المعاني الخاصة يدخل في عدة تعابير تقليدية في ذاته، بذاته لذاته (Soi-En soi- Par soi)»[3]، والحقيقة أن مصطلح "الذات" يُعد مصطلحا مراوغا وفلوتا يستعصي على الباحث الإلمام بمفهومه وتحديده بدقة فهو من المفاهيم غير الجاهزة أو النمطية والتي لا تدرك وتتشكل بسهولة، ذلك أن «مفهوم الذات ليس شيئا موروثا لدى الإنسان وإنما يتشكل من خلال التفاعل مع البيئة التي يعيش فيها ابتداءً من الطفولة وعبر

[1]- سعد البازغي: شرفات للرؤية، العولمة والهوية والتفاعل الثقافي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط5، 2005، ص 191.

[2]- جان فرانسوا ماركيه: مرايا الهوية، الأدب المسكون بالفلسفة، تر: كميل داغر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005، ص 13.

[3]- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2001، مج3، ص1039.

مراحل النمو المختلفة كما أن الوعي بالذات يبدأ ضيقا عند بداية حياته وينمو ويتطور باتساع البيئة التي يتعامل بها ومن خلال الخبرات الجزئية والمواقف التي يمر بها الفرد أثناء محاولة التكيف مع البيئة المحيطة به»[1]، ما يعني أن الوعي بالذات مقرون تطوره بأمرين أو لهما: اتساع البيئة التي يتعامل فيها الفرد، وثانيهما الخبرات والمواقف التي تصاحب الفرد في سعيه للتكيف مع بيئته ما يجعل مفهوم الذات يتسع ليكون «بناء نفترض وجوده باعتباره أساس تحقيق التكامل والاتصال بين خبراتنا جميعا أي أنه الأساس الذي يجمع كل منظم متصل»[2]، وهو ما يذهب إليه أصحاب النظرية السلوكية فالذات بالنسبة لهم «بنية معرفية يستطيع الإنسان بواسطتها تكوين معلومات عن ذاته وينظمها في مفاهيم ونماذج خاصة»[3]، أي هي بنية معرفية منظمة لمجموعة المعلومات والحقائق والمفاهيم التي تساعد الفرد على الوعي بذاته وبالمجتمع وبهذا الصدد يرى "ميت" أن الذات كعضوية فاعلة وليست ببساطة وعاء سلبيا يتقلى المثيرات ويستجيب لها، ويوضح "بلومر" بالنسبة لميد فإن الذات أكثر من مجرد استدماج مكونات البناء الاجتماعي والثقافي إنها بصورة أكثر مركزية تمثل عملية اجتماعية إنها عملية تفاعل الذات والتي من خلالها يشير الفاعل الإنساني إلى الأمور الذاتية التي تواجهه في الموقف الذي يتصرف فيه وينظم فعله، من خلال تفسيره ولمثل هذه الأمور ينخرط الفاعل في هذا التفاعل الاجتماعي مع ذاته[4].

أما وليام جيمس (William Jeams): فحسب رأيه «أن الإنسان له من الذوات بقدر عدد الذين يعرفونه من الناس فله ذات معينة لزوجته وذات أخرى لأولاده، وذات ثالثة

[1] – قحطان أحمد الطاهر: مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، دار وائل، الأردن، ط1، 2004، ص47.

[2] – مصطفى سويف وآخرون: معم العلوم الاجتماعية الهيئة المصرية للكتاب، 1975م، ص277.

[3] – أريغوكون: البحث عن الذات "دراسة في شخصية ودواعي الذات"، تر: عنان نصير، دمشق، سوريا، دط، ص25.

[4] – ينظر: رث والاس: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع تمدد آفاق النظرية الكلاسيكية، تر: محمد عبد الكريم، الجور عمان، دار مجدلاوي، 2010م، ص 332.

لزميله في العمل وذات رابعة لربه»[1]، وتجدر بنا الإشارة هنا أن رؤية ويليام جيمس للذات محددة وفق أسلوبين لدراستها: الذات العارفة واعتبرها لا قيمة لها في مفهوم السلوك؛ إذ هي تتضمن مجموعة من العمليات كالتفكير والإدراك والتذكر، أما الذات كموضوع وهي الذات التجريبية العملية وتتضمن:

أ- **الذات المادية:** وهي تتضمن جسم الفرد وأسرته وممتلكات.

ب- **الذات الاجتماعية:** وتتضمن وجهة نظر الآخرين نحو الفرد.

ج- **الذات الروحية:** وتتضمن انفعالات الفرد ورغباته[2].

وعلى غرار هذا نجد ميد يظهر وجهين للذات الأول هو لأنا I والتي يعتبرها مبدأ استجابة غير منظمة من العضوية نحو اتجاهات الآخرين، وهي المنطق العفوي أو الاندفاع للتصرف، والوجه الثاني هو الذات المنظمة Me وتمثل منظومة الاتجاهات المنظمة للآخرين والتي ينتحلها الفرد لذاته في المقابل أي هي تلك المنظورات التي يمتلكها الفرد ذاته والتي تعلمها من قبل الآخرين يقول "ميد" أن اتجاهات الآخرين تشكل الذات المنظمة ومن ثم يصدر الفرد نحوها ردود فعل باعتباره الأنا.[3]

من جهة أخرى يعتبر أريغوكون أن الذات مرادفة لـــ: أنا "je" حيث تنبثق الذات من «التجارب التي تصبح الذوات المضطربة فيها مؤقتة مندمجة بنجاح في مجموعة أدوار تضمن لها اعتبارا اجتماعيا»[4].

وهنا يمكن القول أن «الأنا هي الذات Subject» وما تحمله من مظاهر وخصائص ثقافية أو نفسية أو إيديولوجية وما تشمل عليه من أفكار وآمال وطموحات وصراعات

[1] – قحطان أحمد الطاهر: مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، ص 17.

[2] – المرجع نفسه، ص332.

[3] – ينظر: رث والاس: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع تمدد آفاق النظرية الكلاسيكية، ص3340

[4] – عماد مسلم: خصوصيات الهوية وتحديات العولمة، دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، ص1، 2004، ص8.

وتوترات»[1]، بمعنى أن الذات تتحدد تبعا لخصائصها الثقافية والإيديولوجية والسيكولوجية وغير بعيد عن هذا يعتبر دراما شندران أن الذات الإنسانية.

الأنا (The I) (The Self) مثلها مثل المعاني المجردة (كالسعادة والحب) والتي نعرف عنها الكثير لكن يصعب تعريفها أو تحديدها إنها تشبه الزئبق كلما أصررت على الإمساك به كلما هرب بين أصابعك[2].

وبالتالي نستنتج أن الذات مصطلح مشحون بحمولات نفسية سوسيولوجية وإبستيمولوجية وفلسفية يختلف تبعا لاختلاف المرجعيات والرؤى الفكرية ويتغير بتغير السياق الوارد فيه.

2-مفهوم الآخـــر:

أ-لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (آخر).

«من أسماء الله تعالى: الآخر والمؤخر، فلآخر هو الباقي بعد فناء خلقه كله ناطقه وصامته، والآخر بالكسر خلاف الأول والأنثى أخرى، والآخر بمعنى غير كقولك رجل آخر، وثوب آخر، وأصله أفعل من التأخر، فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلنا فأبدلت الثانية ألفا سكونها وانفتاح الأولى قبلها ويقال هذا آخر وهذه أخرى في التذكر والتأنيث ويقال آخر وجماعة أخرى»[3].

ب-اصطـــلاحا:

مما لاشك فيه أن مفهوم الآخر يفضي مباشرة إلى «كل ما هو نقيض الذات، أو الأنا وهو يقتضي إقصاء كل ما لا ينتمي إلى نظام فرد أو جماعة أو مؤسسة»[4]، وفي ظل

---

[1]- سعد فهد الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي إلى حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009، ص7.

[2] - ينظر: عمر شريف: ثم صار المخ عقلا، دار نيوبوك، 2013، ص 197.

[3]- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، مج1، دار صادر، بيروت، لبنان، ط4، 2005، ص65-66.

[4]- رياض القرشي: البنيوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في المغرب، دار حضرموت للدراسات والنشر، اليمن، ط1، 2008، ص 8.

هذا الإقصاء اعتراف بوجود نقيض للذات وجزم بأن الآخر «مقولة إبستمولوجية ملخصها الإقرار بوجود خارج الذات العارفة أي كينونات موضوعة»[1]، ووقف موسوعة لالاند الفلسفية «الآخر أو الغيرية (Autre) أحد مفاهيم الأساسية فهو نقيض الذات (Même) ويقال على كلمات شتى (Divers) المختلف (Différent)، مميز (Distinct) على أن هذه الأخيرة تتعلق أولا بالعملية العقلية التي تعرف الغيرية بواسطتها»[2]، ويقصد بالغيرية «صورة أو مفهوم الشخص أو الجماعة للأشخاص الآخرين والجماعات الأخرى»[3]، وبهذا نستنتج أن الآخر مرادف للمختلف عن الذات التي من رحمها يولد وعلى أساسها يتحدد.

ويأخذ الآخر أشكالا مختلفة فقد يكون «الضمير الأخلاقي هو أيضا الآخر بداخلنا فهو مجموعة القيم الاجتماعية والثقافية والدينية... التي يفرضها علينا واقع المحيط الذي نولد فيه أو نعمل فيه وهكذا فإن في داخلنا أكثر من آخر، إذ هناك الأنا كآخر وهنا لا وعينا كآخر وهناك الضمير الأخلاقي في (الأنا الأعلى كآخر)»[4].

كما أن «كل شخص هو آخر بالنسبة لأي شخص على وجه الأرض»، إنه وببساطة المختلف عن الذات والذي من خلاله يتأكد وجودها، وجدير بالذكر أنه يمكن أن تكون الذات نفسها ذاتا وآخر من خلال التناقضات السيكولوجية على الصعيد الفردي والتناقضات الاجتماعية على الصعيد الجماعي وذلك لاشتمال مفهوم الآخر كل من «المختلف في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي»[5]، كما ويتسع مفهوم الآخر ليكون «شعبا مجاورا أو شعبا لنا احتكاكات به على مر التاريخ سواء أكانت صراعات أم

---

[1]– سلاف بوحلايس: صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى العمالي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث، باتنة، 2008–2009، ص 8.

[2]– أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ص 1309.

[3]– نهال مهيدات: الآخر في الرواية النسوية العربية في خطاب المرأة والجسد والثقافة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008، ص 12.

[4]– أزراج عمر طقوس: بناء الغيرية، جريدة الخبر اليومية، الجزائر، العدد 5931، 2010/03/10م، ص 21.

[5]– الطاهر لبيب وآخرون، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999، ص 450.

حروبا أو مبادلات تجارية أو غير ذلك»، وغير بعيد عن هذا يرى أرسطو أن الآخر هو «المستبعد وهو الغريب الذي لم يتمكن من استخدام وفهم اللغة المشتركة»[1] وبالتالي قد يخضع تحديدنا لمفهوم الآخر تبعا للموقع الجغرافي وما يحمله من معاني الانتماء ومعالم الهوية.

وفي كل الحالات ورغم أن الآخر مضاد للذات إلا أنه ضروري لها لأن الإنسان لا يدرك ذاته إلا إذا تصور وجود غيره، فإدراك وجود الغير ضروري لإدراك وجود الذات، ما يعني أن الذات لابد لها من مقابل يعاكسها، حتى تدخل في دائرة النظام الوجودي الذي ينبني وفق الثنائيات والمتقاطبة، فبالآخر تتحدد قيمة الذات ويتحقق وجودها، وعبره تصل إلى درجة الوعي بالذات.

3-العلاقة بيـــن الـــذات والآخـــر:

إن الحديث عن العلاقة بين الذات والآخر يدفعنا أولا وقبل كل شيء إلى التأكيد على التلازم الذي تنبني عليه علاقتهما كيف لا «والأنا والآخر مولودان معا»[2]،فلولا «الأنا ما كان الآخر ولولا الآخر ما كانت حركة الأنا»[3] ولا ريب أن هذا التشابك العلائقي يجعلنا نسلم بأن «صورتنا عن ذاتنا لا تكون بمعزل عن صورة الآخر لدينا كما أن صورة الآخر تعكس بمعنى ما صورة الذات»[4].

ومما تقدم يمكن أن نستشف خصائص العلاقة القائمة بين الذات والآخر وهي:

1-التحول (عدم الثبات).

2-التضاد (الاختلاف).

3-التفاعل (التأثير والتأثر).

---

[1]- الطاهر لبيب ولآخرون: صورة الآخر العربي ناظر ومنظور إليه، ص 54.

[2]- ينظر: الطاهر لبيب ولآخرون: صورة الأنا والآخر ناظر أو منظور إليه، ص 12.

[3]- أحمد ياسين ا"لسليم"اني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط1، 2009، ص 107.

[4]- الطاهر لبيب ولآخرون: صورة الآخر العربي ناظر ومنظور إليه، ص 12.

4-التطور والتجدد (تخضع للمتغيرات التاريخية والاجتماعية والنفسية...).

5-الاستمرارية (في أغلب الأحيان).

6-التلازمية (لا تقبل الانفصال والأحادية فهي ثنائية متلازمة).

7-ليست آنية (تنشأ تبعا لخلفيات ومرجعيات أو موروثا أو حتى ترسبات سيكولوجية).

وقد قام تزفيتان تودوروف (Tazvetan Todorov) بتصنيف العلاقة بين الأنا والآخر، حيث صنفها إلى ثلاثة أصناف: حكم قيمة على الصعيد الدلالي: الآخر جيد أو شيء أحبه أو لا أحبه ثانيا: على الصعيد العملي: أتقبل قيم الآخر وأندمج معه وأجعل الآخر يتمثلني أو أفرض عليه صورتي الخاصة بين الخضوع للآخر وخضوع الآخر يوجد تعبير ثالث الذي هو الحياد أو عدم الاهتمام، ثالثا: أتعرف إلى هوية الآخر أو أتجاهلها ويكون هذا على الصعيد العملي[1].

وقد تجلت العلاقة بين الذات والآخر بصورة أوضح في الرواية كونها «تعد من أقدر الفنون على تقديم تفاصيل الحياة بكل حقائقها وأوهامها، ما يتيح لنا دراسة إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر فيها فتستطيع أن تفتح أمام المتلقي طريق فهم الذات والآخر معا»[2]، وعليه شكلت هذه الثنائية أيقونة بارزة في الأعمال الروائية العربية منذ نشأتها وإلى غاية يومنا هذا طبعا مع اختلاف الطرح المساير للسياق الذي يفرضه الواقع التاريخي، الاجتماعي، السياسي والثقافي وليس من باب المبالغة إذا قلنا أن موضوع الذات والآخر أضحى «إشكالية سردية تختلف باختلاف وجهة نظر الروائي قد يبرزها بصورة معقدة وشائكة، وقد يظهرها بصورة واضحة خاصة إذا اقترنت بالآخر هو العدو بحد ذاته لتصبح الأنا في موقع صدامي صراعي على الدوام معه»[3]، وبغض النظر عن نوع العلاقة التي تربط الذات بالآخر إلا أنه يمكن أن نحصرها بين الرفض والقبول.

---

[1]- ينظر تزفيتان تودوروف: فتح أمريكا، مسألة الآخر، تر: بشير السباعي، دار سينا للنشر، مصر، 1992، ص223.

[2]- ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، عالم المعرفة، الكويت، 2013، ص 13.

[3]- ينظر: محمد صابر عبيد: جماليات التشكيل الروائي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012، ص 63.

فالروائي وهو يقدم لنا صورة الآخر قد يرسمه على أنه الإنسان وفقط بعيدا عن أصوله وانتماءاته ليكون بهذا الصديق والمساند فتكتسب العلاقة طابع القبول والاستحسان ومن جهة أخرى نجد الروائي في أغلب الأحيان يرسمه على أنه العدو والمستعمر ما يجعل العلاقة تتسم بالرفض الذي يطغى على الروايات العربية، ذلك أنه «للمسيطر صورة مركزية تردنا إلى فانتازمات المستعمر القديم وراسم الشعوب المستعمرة ومستغل العالم الثالث... فتظهر صورة بما هي "الصورة العلامة" أو "الصورة العرض" image sumptome فهي علامة السيطرة المستمرة»[1].

ولنتبين العلاقة بين الذات والآخر وكيفية حضورهما في الرواية العربية سنحاول تقديم بعض الإضاءات حول تمظهر الذات في الرواية العربية مستعينين ببعض النماذج الروائية.

[1]– الطاهر لبيب ولآخرون: صورة الآخر العربي ناظر ومنظور إليه، ص 631–632.

ثانيا: تمثلات الذات في الرواية العربية

1-الذات والآخر في الرواية العربية:

تشكل الذات الفردية والجمعية بتفاعلاتها مع المحيط السوسيولوجي والآخر الأجنبي المحور الذي قامت عليه الرواية العربية منذ بداياتها وذلك بفضل إمكاناتها السردية والجمالية القادرة على استيعاب الذات واحتواء الآخر بصوره المختلفة، وبهذا تصبح قراءة الرواية مغامرة للبحث في عوالم الذات الإنسانية التي تعد مركز الخطاب الروائي الساعي إلى فهم إشكالياتها وطرح جميع أسئلتها المرتبطة بذاتها وعلاقتها مع الآخر المحكومة بمختلف السياقات التاريخية والسياسية والاجتماعية...

وبهذا جاز لنا القول أن الرواية في أبسط وأشمل تعاريفها «هي ذلك الشكل الأدبي الذي يقوم مقام المرآة في المجتمع مادتها إنسان في المجتمع وأحداثها نتيجة لصراع الفرد مدفوعا برغباته ومثله ضد الآخرين وربما ضد مثلهم أيضا»[1]، ومادامت مادتها إنسان فهذا يعني أن الذات وما يرتبط بها من قضايا وعلاقات هي أساس الرواية.

والحقيقة أن جل الروايات العربية إن لم نقل كلها تطرقت إلى ثنائية الذات والآخر فجاءت الذات معبرة أحيانا عن ذات فردية أو عن أقلية أو عن طائفة معينة ضد الآخر الذي يمثل دائما نقيضها بمعنى المعارض لها ما يعني ها هنا انشطار الذات عن ذاتها- الذات الجماعية لتصبح الآخر المقابل للذات التي تجمعها به علاقة قوامها الصراع كنتيجة حتمية للاختلافات القائمة بينهما والتي سنحاول تلخيصها مع العلم أن هذه الاختلافات التي تخلق الفجوة بين الذات الفردية ضد الذات الجمعية وتؤدي إلى الصراع ليست حكرا على هذه الثنائية فقط إذ قد تتجاوزها لكن الأكيد أن الرواية التي تطرح إشكالية انشطار الذات لا تخرج إلا من رحم هذه الاختلافات:

- **الاختلاف الديني:** لاعتناق الذات ديانة أو مذهب ترفضه الذات الجماعية ويتسع هذا الرفض ليشمل جميع أنواع الارتباط والتواصل.

[1]- فاطمة موسى بين أدبين: دراسات في الأدبين العربي والإنجليزي، الأنجلو المصرية، 1965، ص12.

- **الاختلاف الإيديولوجي:** نتيجة لتبني الذات أيديولوجيا أو رؤى معارضة لما هو سائد في وسطها الاجتماعي.

- **الاختلاف البيولوجي (الجنس):** والغالب ما تجد فيه انقسام الذات الأنثوية إما عن المجتمع بعاداته وتقاليده التي تمارس عليها سياسة التهميش والإقصاء وإما عن المجتمع الذكوري الذي يمثل بالنسبة لها سلطة القهر وسحق الذات.

وبهذا فإن انقسام الذات على ذاتها الجماعية يولد مجموعة من الثنائيات:

الشيعة/ السنة، الرأسمالية/ الاشتراكية، الأنثى/ الذكر، التحرر/ الانغلاق...

غير أنه في أحيان أخرى نجد الذات ككل متوحد ضد الآخر الأجنبي، الدخيل لتشكل لنا ثنائية أخرى كان لها حضور مهيمن في النص الروائي ألا وهي ثنائية الذات الشرق/ الآخر الغرب وما يربط هذه الثنائية من علاقات جدلية، هي الأخرى قوامها الصراع المتوغل في قدم التاريخ والذي يعود إلى زمن الحروب الصليبية، ويبد جليا في مؤلفات بعض المستشرقين الذين انحازوا عن الموضوعية العلمية، فبثوا في كتبهم أمورا تسيء وتشوه صورة العالم الشرقي عموما والفكر الإسلامي خصوصا، حيث «بذلت الجهود والأباطيل حول الإسلام فاندفع عدد ضخم من علماء الغرب إلى البحث والتنقيب جريا وراء براهين زائفة للتشكيك في الإسلام وتشويه شريعته وتوهين عقيدته»[1]، وهنا تشكلت صورة نمطية عن الشرق ساهم في ترسيخها «الأدب الترفيهي الذي أثار اهتماما بالغا بسبب طرافته وغرابته»[2].

وقد انتقل هذا الصراع الأزلي إلى الرواية بوصفها ملحمة العصر والتي استطاعت احتواء الثنائية الأم: الشرق/ الغرب وما ينبثق منها وينطوي تحتها من ثنائيات تدور في فلكها ومنها: تقدم/ تخلف، مركز/ هامش، مستعمر/ مستعمر، الفوقية/ الدونية، المادة/ الروح، الأصالة/ المعاصرة...

[1]- أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، 1991، ص88- 89.

[2]- المرجع نفسه، ص42.

ولعل الباحث في النتاج الروائي يمكنه أن يستشعر خصوصية حضور الذات وهذه الثنائيات بين مرحلة وأخرى تبعا للسياقات والظروف والمستجدات.

فلو عدنا مثلا لمرحلة يقظة الذات العربية المصدومة والمنبهرة أمام منجزات الآخر الغربي بفعل حملة نابليون بونابرت على مصر 1798 والتي كان لها الفضل في بلورة الفكر النهضوي، لوجدنا صورة هذه الذات وبكل أبعادها متمظهرة في الرواية إذ «ضمن الانشطار والإرباك الذي أحدثه إنجاز الآخر الوافد في وعي الذات ومسلماتها في قناعاتها وثوابتها فقد كانت حينه راضية بإنجازاتها مطمئنة إلى ماضيها، ضمن هذا الإطار كانت تلك الأعمال المبكرة تقدم إجاباتها وتطرح إسهاماتها حول هذه القضايا المركزية محكوما في ذلك غالبا بشروط مثاقفة غير متكاملة بين الذات والآخر الغرب وبأسئلة حضارية عامة»[1]، ومن بين الأعمال المبكرة ما كتبه رفاعة الطهطاوي الذي يدرج على أنه أهم أثر أدبي وفكري يعكس علاقة الشرق بالغرب، إلى جانب أنه من الأعمال الأدبية الرائدة التي استطاعت تنوير الذات بتعريتها من نرجسيتها البالية المتوقفة في حدود ما تركه الأولون مثيرة بهذا تساؤلا بات هما وهاجسا ألا وهو: أين الذات العربية من تقدم وتحضر الآخر؟ وهو سؤال طبيعي إذا علمنا أن رفاعة الطهطاوي نقل لنا من خلال مؤلفه صورة لما يشهده الآخر من تطور علمي، وما يعيشه من حرية وبذخ فكري واجتماعي وعليه فإن: «الحضور القاهر لنقيض (الأنا) أو الآخر الأوروبي والإعجاب بتقدمه هو الذي دفع النوع الوليد لفن الرواية إلى معالجة حالات التضاد الشعوري إزائه، وكان ذلك منذ أن أقسم عيسى بن هشام بالله وملائكته على جهل أكثر مشايخنا بآلاف العلوم مؤكدا أنهم لا يزالون كالعهد بهم في معزل عن العلوم النافعة والمخترعات المفيدة»[2].

وعليه فإننا قد لا نبالغ إن اعتبرنا الآخر هو المحفز الأساسي لظهور الرواية العربية من حيث الانفتاح عليه والاستفادة من تقنيات الكتابة الروائية، أو من حيث اتخاذه

[1]– خليفة غيلوفي: التجريب في الرواية العربية رفض الحدود وحدود الرفض، الدار التونسية للكتاب، 2012، ص12.

[2]– جابر عصفور: زمن الرواية، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2006، ص41.

مادة خام يقوم عليها العمل الروائي، وهذا ما تؤكده بواكير الأعمال الأدبية والروايات العربية التي طرحت التفاعل والاختلاف بين الذات والآخر من جهة وجسدت رؤية الذات وصورتها للآخرين من جهة أخرى، وقد سبق وأشرنا إلى هذه الأعمال تخليص الإبريز في تلخيص باريز "لرفاعة الطهطاوي"، علم الدين "لعلي مبارك"، حديث عيسى بن هشام "للمويلحي" وكلها تشكل بدايات رحلة الوعي بالذات، هذه الرحلة التي حملت العديد من الروائيين على كتابة الذات التي تستدعي كتابة الآخر فهي طبعا لا تتحدد بمعزل عنه وينبغي علينا الإشارة هنا أن صورة الآخر التي اصطبغت بها المؤلفات العربية خاصة المتعلقة بكتابة الرحلات سواء في قالب فكري أو روائي «هيأت لولادة مبحث الصورانية imaglogie في الأدب العربي الحديث والمعاصر»[1]، وهو أهم المباحث المعاصرة.

2-عصفور من الشرق واستكشاف الآخر:

تعد رواية "توفيق الحكيم" عصفور من الشرق 1938 من أوائل الروايات التي تجاوزت فيها الذات الانبهار الكلي بالآخر منتقلة بذلك إلى الاستكشاف الذي يميط اللثام عن حقيقة هذا الآخر المترسخ على أنه نموذج للكمال واضعتا بذلك حدا للدعوات التي نادت بضرورة السير على منواله غافلة عن فرق جوهري يميز الشرق بروحانية عن المادية البحث التي تطغى على الغرب لدرجة جعلته يشيء حتى القيم الإنسانية بل أحيانا يتجرد منها في سبيل بقائه مركزا ما دونه هامشا.

ولعل "توفيق الحكيم" تفطن إلى تبعات الانبهار والولع بالآخر، ما جعله يوكل مهمة الكشف عن الوجه الخفي للغرب وصراع الذات معه إلى بطل روايته "محسن" وصديقه الروسي "إيفان" والواضح أن الرواية «تتحدث مطولا وبتسمية مباشرة عن شرق وغرب وعن صراع أزلي بينهما»[2]، الأمر الذي يمكن أن نستشفه من خلال العنوان "فعصفور من

[1]- عبد القادر شرشال: بناء الآخر والهناك في الرواية المغاربية، بحث عن الفردوس المفقود، جامعة وهران ضمن أعمال الملتقى الدولي حول السرديات، أسئلة الهوية في الخطاب السردي، جامعة بشار، الجزائر، 2001، ص292.

[2]- جورج طرابيشي: الأعمال النقدية الكاملة، الجزء الأول، دار مدارك، ط1، 2013، ص421.

الشرق" هذا النص المكثف الذي جاء فيه العصفور معادل للذات التي تتزع بطبيعتها للحرية، والتي شأنها شأن العصفور إما حرة وهذا في الغالب الأعم يكون داخل وطنها وتشبه هنا العصفور أثناء تواجده في وطنه "السماء" وإما مقيدة حين تكون خارج وطنها وفي هذه الحالة تشبه العصفور أثناء وجوده في القفص، ولأن الكاتب نسب هذا العصفور فقال "عصفور من الشرق" فهذا يعني وجود قطب آخر هو الغرب الذي تعتبره الذات سجنا لها إذ ليس موطنها وبالتالي لا يمنحها الأمان والسكينة.

عصفور ← الشرق= السماء= الحرية.

↓ الغرب= القفص= اللاحرية.

الذات ← الشرق= الوطن= الحرية

↓ الغرب= القفص= اللاحرية.

وفي الرواية نجد مقاطع تعزز رأينا فحين ينادي أندريه وزوجته "جرمين" "محسن" قائلا: «عصفور الشرق، وحيد في القفص! فقال محسن كالمخاطب نفسه إني دائما في قفص»[1]، وفي موضع آخر يقول "محسن": «آه يا سيدتي إني في قفص لا يراه كل الناس»[2].

كما أنه عند تأملنا للعنوان يتضح لنا أن الروائي تجاوز الحدود الوطنية الضيقة للذات لحدود أوسع، تتوحد فيها الذات الوطنية مع القومية فبالرغم من أن بطل الرواية شاب مصري إلا أن الكاتب لم يقل "عصفور من مصر" وقال "عصفور من الشرق" ويمكن أن نرجح السبب وهو أن "توفيق الحكيم" له رؤية مفادها أن ذات المصري جزء من كل شرقي يتقاطع في أنساق حضارية وثقافية واجتماعية ضف إلى هذا أن نظرة الآخر للذات لا تفرق بين بلد شرقي وآخر فبالنسبة له الموقع الجغرافي هو معيار يقسم به العالم إلى غرب متقدم، وشرق متخلف وهذا ما حاول توضيحه لنا الكاتب من خلال صوت الآخر

[1]– توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، دط، ص 47.

[2]– المصدر نفسه، ص 109.

في الرواية الذي يتحاشى مناداة "محسن" باسمه والذي لا يرد إلا من خلال والدة صديقه أندريه في سياق واحد كان فيه في موضع الخادم «برافو يا مسيو محسن إنك لبارع حقا في تقشير البصل»[1]، إلى جانب أنه حظي بشرف التواصل معه باسمه عبر الرسائل التي كان يرسلها له صديقه أندريه بعد رحيله إلى الفندق وما دون هذا فإن اسمه "عصفور الشرق" ونحوه ويأتي دائما في سياق النظرة الدونية من قبل الآخر، الذي لا يتوانى عن الاستهزاء بروحانية الذات التي يلصق بها كل تصرف غير لائق ولا متحضر وهو الأمر الذي دفع "توفيق الحكيم" بدوره إلى اختزال الآخر (الغرب) في أنثى تعبيرا عن ردة فعل الذات التي أعطته هذا التوصيف الحامل في طياته رؤية نقدية هجائية نستنتجها مما جاء على لسان "إيفان" قائلا:

* «لكن آسيا وإفريقيا ارتبطتا بالزواج في طور من أطوار التاريخ وأنجبتا هذه الفتاة الشقراء التي تسمى أوربا جميلة رشيقة ذكية لكنها حقيقة أنانية لا يعنيها إلا نفسها واستعباد غيرها»[2].

وفي مقام آخر أيضا يقول:

* «إن هذه الفتاة ترى المجد كله في شيء واحد أن تضع الأصفاد في أرجل البشر وبدأت أول ما بدأت بأبويها إفريقيا وآسيا أنكرتهما وحبستهما وانطلقت في الحياة لا يحدها حد ولا يقوم لها شيء إلى أن انتهى بها المطاف في بيت من بيوت الليل تديره»[3].

ونلمحه في قوله:

* «وقد فهم الشرق أن فتاته ليست إلا غانية خليعة لا قلب لها ولا ضمير وليست لها قيمة روحية ولا خلقية»[4].

---

[1]– توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، ص26.

[2]– المصدر نفسه، ص 6.

[3]– المصدر نفسه، ص173.

[4]– المصدر نفسه، ص180.

– ومما تقدم في هذا الصدد نستطيع القول أن رواية "عصفور من الشرق" رواية مؤسسة للروايات التي عالجت ثنائية الذات والآخر، إذ لا نكاد نصادف رواية من هذا النوع إلا واستعانت بهذه الرمزية (الأنثى الغربية) وإن اختلف الطرح وقد لا نبالغ إن قلنا أن الأمر وصل إلى حد تنميط الكتابة الروائية التي لا مجال لاستغنائها عن أنثة الغرب، مقابل ذكورة وفحولة الشرق وهو ما اصطلح على تسميته بتجنيس العلاقات الحضارية والحقيقة أن الكاتب نجح في كشف الوجه المادي للغرب عن طريق "إيفان" الذي أراد كشف زيف الآخر على مر العصور وأراد أن يزعزع ويلغي النظرة المثالية للأخر من خلال الإفراط في الحوار مع محسن لدرجة يكاد ينسى معها القارئ أنه بين صفحات عمل روائي خلفيته حوار الحضارات ويظن أنه يقرأ بين صفحات عمل روائي خليفته حوار الحضارات ويظن أنه يقرأ عملا فكريا في حوار الحضارات يرتدي مسحة روائية وجديد بالذكر «أن توفيق الحكيم وضح على لسان إيفان إيجابيات وسلبيات الآخر، إذ لم ينكر تقدمه وعلمه وفي نفس الوقت لم يتغاضى عن مساوئه التي تنهار أمامها قيمة العالم»[1]، حيث ركز على الجانب السلبي المتمثل في ماديته وفي ذلك يقول إيفان:

«إن عين العلم الأوروبي لا تقع دائما إلا على سطح الأشياء، ككل عين إنها مدينة لا تدرك ولا تفرق إلا بما يقع تحت لمسها وبصرها ومنطق عقلها، ولا تقوم إلا على عالم المحسوس وإني أصر على أن هذه المدينة الكبيرة إن هي إلا مدينة ناقصة»[2].

ونظرا لموجة التأثر بالغرب التي شهدتها الذات في تلك الفترة فإن توفيق الحكيم لم يغفل عن هذا الجانب بل دعى من خلال روايته إلى التمسك بمبادئ الذات وتجنب التماهي في الآخر الذي بالغت الذات في تمجيده وهو ما يتجلى من خلال المقاطع الآتية:

إذ نراه يقول:

[1] – جودي فارس البطاينة: شخصية الآخر في الرواية في الأردن، مؤسسة الوراق، ط1، 2004، ص 25.

[2] – توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، ص187.

*«إنك قد تستطيع اليوم أن تقتلع من رأس الشرقي عظمة السماء ولا تستطيع مطلقا أن تقتلع منه عظمة العلم الأوربي الحديث ...وإنه لمن اليسير أن تسفه عند الشرقي الآن رسالة الأنبياء ولا يمكن أن تسفه لديه رسالة القوة المادية الحديثة»[1].

*«نعم اليوم لا يوجد شرق، إنما هي غابة على أشجارها قردة تلبس زي الغرب على غير نظام ولا ترتيب ولا فهم ولا إدراك»[2].

وبهذا يمكن استشعار حرص الكاتب على تبيين مادية الآخر (الغرب) التي تناقض روحانية الذات (الشرق) محذرا من الآثار السلبية الناجمة عن هذا النوع من المثقافة وما ينجر عنها من خرق وطمس لهوية الذات وبالتالي القضاء على خصوصيتها، لتضحى ببغاءً يقلد كل شيء بغض النظر أكان مقبولا أم مذموما.

رغم أن الكاتب وفق لحد بعيد في طرحه هذا، إلا أنه غالى في إبراز الجانب الروحاني الذي يطالعنا في بداية العمل الذي جاء فيه الإهداء:

«إلى حاميتي السيدة زينب» إلى جانب ما نجده في ثنايا الرواية منها على سبيل المثال لا الحصر ما جاء على لسان السارد «إن لها وجودا حقيقيا في حياته ما من مرة وقع في شدة إلا وجد العزاء عند باب ضريحها ذي القضبان الذهبية، كل نجاح ظفر به في الحياة هو دفعة من يدها وكل عطف هي ابتسامة من شفتيها»[3].

*«لكن هناك ساعات تتجهم له فيها الحياة وتقسو عليه الظروف ويرى كأن السيدة قد نسيته»[4]، وهذه المقاطع ترصد لنا التخلف الديني للذات وهو ما ركز عليه يحي حقي في رواية "قنديل أم هاشم".

[1] – توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، ص 190.

[2] – المصدر نفسه، ص191.

[3] – المصدر نفسه، ص104

[4] – المصدر نفسه، ص105.

3-قنديل أم هاشم وأوهام الذات:

تتحدث رواية قنديل أم هاشم ليحيى حقي بإسهاب عن «الجانب السلبي للتدين كأبرز مظاهر التخلف للذات... وحجم الاعتقاد في غيبيات بعيدة عن حقيقة الإسلام، لأنه جسد المستوى المتدني حتى في مستوى الفهم الصحيح للدين»[1]، إنها رواية مكاشفة الذات ونقد عقليتها التي لا تزال أسيرة المورث الخرافي، الذي يأبى الإقرار بتفوق العلم أمامه وكأنه بهذا ينفي تفوق الآخر عليه، كما تفضح الرواية واقع الذات العربية المثقفة التي تتأرجح بين الاستيلاب والانهزامية، مسلطة بذلك الضوء على علاقتها مع الآخر ممثلا في الغرب تارة ومع الآخر ممثلا في مجتمع الذات تارة أخرى، وهذا ما نتوصل إليه بعد قراءتنا للرواية التي تعيننا على تسييج معنى العنوان المكون من:

«اسم نكرة "قنديل" تمت إضافته إلى علم "أم هاشم" قنديل لغويا معنى مصباح يضاء بالزيت فالقنديل إذن يدل على الإضاءة بمعنى التحول من ظلام إلى نور أم هاشم: هي السيدة زينب ابنة علي كرم الله وجهه تتجاوز هذه الشخصية بعدها التاريخي لتأخذ بعدا لدى الشعب المصري حيث تصير جزءا من الغيبيات حين يتم التبرك بمقامها والتضرع إليها لفك الأزمات»[2].

وعليه فإن العنوان "قنديل أم هاشم" مشحون بحمولات ثقافية فهو رمز للمعتقدات الخرافية للذات وهو يحمل معنيين:

* **معنى سلبي:** وهو يدل على وجود ظلام الجهل والتخلف للاعتقاد بأن زيت قنديل أم هاشم "فيه بركة وشفاء حتى أن والدة الذات البطلة إسماعيل" استعملته لعلاج خطيبته فاطمة النبوية المصابة بداء الرمد ويتسع المعنى السلبي ليشمل الطقوس والممارسات التي يقوم بها أهل منطقة السيدة زينب أمام مقامها وهذا المعنى السلبي يتشكل خارج النسق

[1] – محمد نجيب التلاوي: الذات والمهماز، دراسة التقاطي في صراع روايات المواجهة الحضارية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص95.

[2] – حسن الكيري: مؤانسات نقدية، دار لمار للنشر والتوزيع والترجمة، 2019، ص78.

الاجتماعي والثقافي للذات أي بالنسبة للآخر الغربي أو للذات المثقفة التي تزودت بنور العلم.

* **معنى إيجابي:** إذ يمثل القنديل النور الذي مصدره الإيمان بالمعتقد الخرافي وبالموروث من عادات وتقاليد، ويتشكل هذا المعنى داخل النسق الاجتماعي والثقافي للذات.

ومن خلال المعنيين يمكن أن نستشف معانات المثقف الذي هو أمام خيارين:

إما عدم الشذوذ عن النسق الثقافي والاجتماعي للذات، وهنا يكون مرحبا ومقبولا به وإما المخالفة التي تجعله شخصا غير مرغوب فيه بل مرفوضا ويصل الأمر إلى حد اتهامه بالكفر، وهذا ما تعرض له إسماعيل حين استنكر معالجة والدته لفاطمة النبوية بزيت "قنديل أم هاشم" وفي الليلة الأولى التي جاء فيها من انجلترا أين كان يدرس طب العيون، حيث قال لها «كيف تقبلين هذه الخرافات والأوهام»[1]، حينها تدخل الأب قائلا: «هل هذا كل ما تعلمته في بلاد بره؟ كل ما كسبناه منك أن تعود كافرا»[2] على الرغم من أن الوالد كان السبب وراء استكمال إسماعيل دراسته في الخارج وذلك لإدراكه التقدم العلمي الذي وصل إليه الآخر وهذا ما نستنشقه من وصف السارد «بلاد بره ينطق بها الأب كأنها إحسان من كافر لا مفر من قبوله لا عن ذلة بل للتزود بنفس السلاح»[3].

وعليه نستنتج قداسة الموروث ولو كان خرافيا في عقلية الذات الشرقية التي تمارس الإقصاء على كل من يحاول استصغاره أو تدنيسه حتى ولو كان هذا المدنس تحت شعار العلم "فإسماعيل" هذه الذات المثقفة كانت تعيش الاستقرار النفسي كونها متصالحة مع مجتمعها تتقاسم معه حتى جهله لكن سرعان ما سافر هذه الذات لتلتقي بالآخر الذي يصبح مرآتها لحظتها فقط تستيقظ من سباتها الخرافي الجاثم على تقدمها ليكون بذلك الآخر هنا

[1] – يحي حقي: قنديل أم هاشم، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1940، ص 98.

[2] – المرجع نفسه، ص 100.

[3] – المرجع نفسه، ص 77.

هو المجتمع إذن فالآخر «ليس بالضرورة هو البعيد جغرافيا أو صاحب العداء التاريخي أو التنافس الدائم يمكن للذات أن تنقسم على نفسها ويحارب بعضها البعض الآخر»[1].

وهو ما حدث لإسماعيل الذي تغيرت رؤيته للأمور بعد سفره فمثلا قبل ذهابه زار مقام أم هاشم للتبرك إلا أنه بعد عودته أصبح يرى أن هذه خرافات لا تمت بصلة إلى العلم الأمر الذي دعاه إلى تحطيم زجاجة زيت القنديل التي كانت تحملها والدته لعلاج فاطمة النبوية وكذا تحطيمه للقنديل الموجود في مقام أم هاشم أين تعرض للضرب كما تظهر الرواية أن إسماعيل كان يعاني عقدة الكبت الجنسي «إسماعيل لا يكذب إذا أنكر أنه جوعان إلى فتاته السمراء إلى النساء جميعا ولاسيما أخيرا نساء أوروبا»[2]، بمعنى أن جسد الأنثى يعني له الكثير لولا الروادع الدينية والاجتماعية لتخلص من جوعه هذا لكن بعد عودته يفاجئنا بأنه بات ينظر إلى أبناء مجتمعه نظرة احتقار لأنهم يولون اهتماما كبير للأنثى، ودليل ذلك ما قاله مرور امرأة على مقهى «سرعان ما بدأ الناس يتحككون بها كأنهم كلاب لم يروا في حياتهم أنثى»[3]، متناسيا أنه لولا الإشباع الجنسي الذي عاشه في بلاد الآخر لكان مثلهم إذ قبل عودته من انجلترا دعا "ماري" ومارس معها الجنس فهو يعلم أنه راجع إلى نسق الذات الذي يفرض عليه مجموعة من القيود منها العيش بعيدا عن حياة اللهو بالنساء لتكون له مكانة اجتماعية محترمة وربما يجوز لنا أن نفسر عبث إسماعيل في إنجلترا على أنه نوع من الاستيلاب فهو لم يحافظ على قيمه كذات شرقية مثقفة يمكنها أن تقاوم مغريات الآخر لتفرض وجودها واستقلاليتها عن طريق رفض ومواجهة منظومته القيمية التي تنافي وقيم الذات.

أما فيما يخص انهزامية الذات المثقفة فإنها تتمظهر من خلال خضوعها وخنوعها للمعتقد الخرافي السائد داخل النسق الاجتماعي والثقافي مع العلم أن "ماكس فيبر" (Max

[1] – طاهر لبيب وآخرون: صورة الآخر العربي ناظر ومنظور إليه، ص111.

[2] – يحي حقي: قنديل أم هاشم، ص 76.

[3] – المصدر نفسه، ص 102.

Wiber) يرى أن المثقف «يحمل صفات ثقافية وعقلانية مميزة تؤهله للنفاذ إلى المجتمع والتأثير فيه» وهذا ما لم نجده عند "إسماعيل" الذي لم يحاول الدفاع وباستماتة على ما يراه صائبا بل آثر أن يكون مرغوبا فيه اجتماعيا على أن يخالف فيكون منبوذا"[1]، على الرغم من رغبته في تعيير مجتمعه والأخذ به نحو الأفضل «لو استطاع إسماعيل لأمسك بذراع كل واحد منهم وهزه هزة عنيفة وهو يقول استيقظ استيقظ من سباتك أفق وافتح عينيك تعيشون في الخرافات وتؤمنون بالأوثان وتحجون القبور وتلوذون بأموات»[2]، إلا أن هذه الرغبة ظلت للأسف حدودها أقوال ولا وجود لمحاولات ومواجهات فعلية عدا تحطيمه للقنديل وتوليه معالجة "فاطمة النبوية" على أساس أنه طبيب عيون لكنه يفشل لتصاب بالعمى الكلي فيهرب من منزل العائلة ليعيش في فندق حالة من الصراع الداخلي محتارا بماذا يؤمن هل بالعلم أم بالمعتقد الخرافي السائد في وسطه والذي تربى على الإيمان به وهو ما يختاره إسماعيل في الأخير إذ يستعين في الأخير بزيت "قنديل أم هاشم" لمعالجة "فاطمة النبوية" التي تبصر بعد ذلك من جديد وبالتالي المعتقد الخرافي والموروث انتصر على العلم ما يعني انتصار الذات (الشرق) على الآخر (الغرب).

ويبدو لنا جليا صراع الذات في قنديل "أم هاشم" من خلال المخطط الآتي[3]:

[1]– أيمن طلال يوسف: التفاعل الإيجابي بين المثقف العربي وقضايا الأمة، إدوارد سعيد نموذجا: مجلة الفكر السامي العدد 26 السنة الثامنة 2006، ص3.

[2] – يحي حقي: قنديل أم هاشم، ص102.

[3]– حسن الكيري: مؤاناسات نقدية، ص 82.

الثورة على المعتقد الديني الأسطوري:

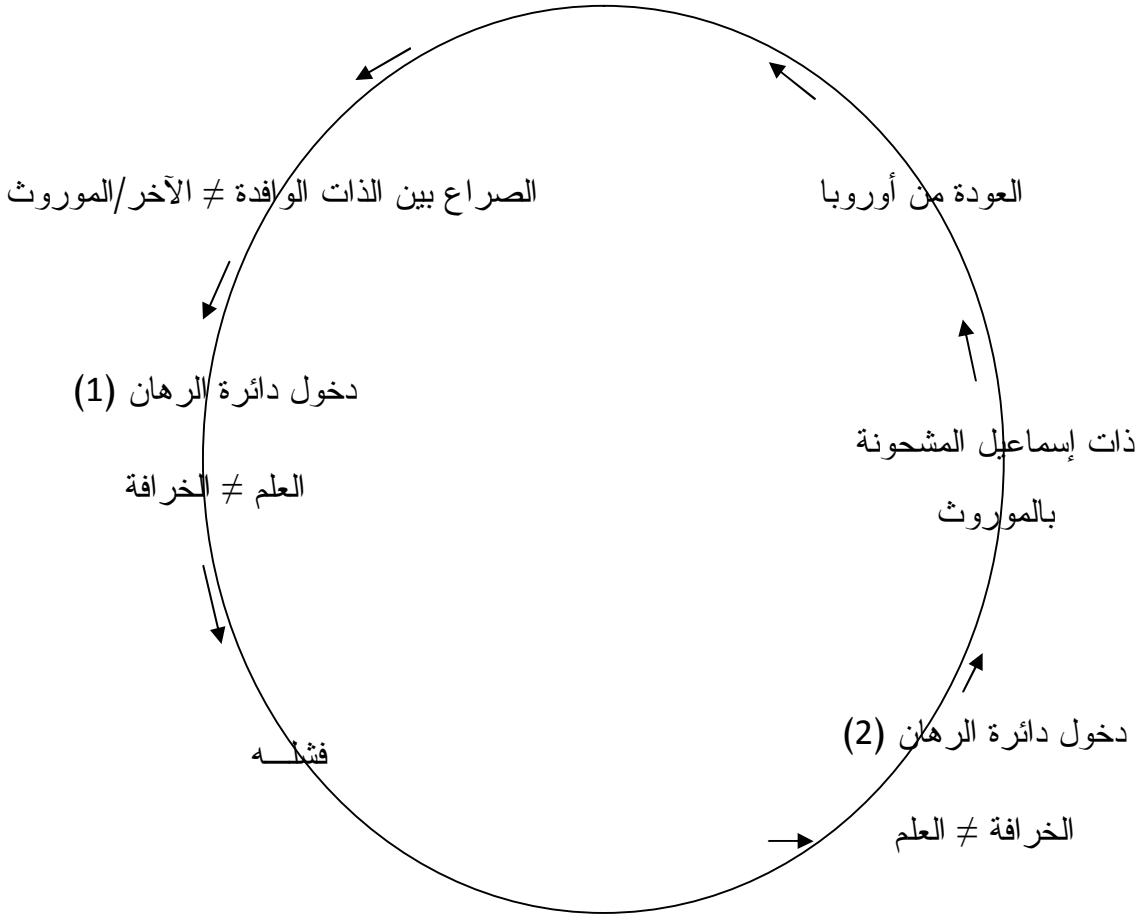

الصراع بين الذات الوافدة ≠ الذات المشحونة بالموروث

وبالتالي "قنديل أم هاشم" ترصد صراع وانشطار الذات المثقفة على ذاتها الجمعية (النحن) التي تجسد الموروث والإيمان الشعبي الممزوج بالخرافات والشعوذة والمحسوم لصالح الذات الجمعية، كما تبرز لنا صور الآخر الأجنبي بالنسبة للذات والذي يأتي في صورة المهدد لقيم ومقومات "الذات"، فهو رمز للفتنة والإغراء وحتى المجون والزندقة ويبدو هذا جليا من خلال وصية الأب "لإسماعيل" قبل سفره «ابقى حريصا على دينك وفرائضه وإن تساهلت مرة فلن تدري أين يقودك تساهلك»[1]، كما يظهر فيما رسمته "فاطمة النبوية" بقولها: «نساء أوروبا يسيرن شبه عاريات وكلهن بارعات في الفتنة والإغراء، فإذا سافر إسماعيل فلا ندري كيف يعود إن عاد»[2].

[1] – يحي حقي: قنديل أم هاشم، ص 77.

[2] – المصدر نفسه، ص 77.

أما الأم فترى أنه «يسكنها أقوام لهن حيل الجن وألاعبهن»[1]، ويضاف هنا صورة الآخر والمخادع واللعوب.

وعلى غرار هذا نجد صورة الآخر والتي لا تخرج عن نطاق الجهل والتخلف والدونية إذ يقول الطبيب "لإسماعيل": «إن بلادك في حاجة إليك فهي بلاد العميان»[2]، ويعكس هذا نظرة الآخر التي كلها احتقار وازدراء للذات العربية.

4-الحي اللاتيني وصحوة الذات:

إن الكتابة الروائية لم تبق على حالها فقد تغيرت و«بدأت تثور من الخمسينات وإلى حدود الستينات نتيجة لعوامل نذكر من بينها... بداية التخرج لنخب متعلمة في مجالات الفكر والأدب والصحافة والوعي السياسي، مع تضاعف الحس الوطني والوعي القومي والثورة والتمرد على الأوضاع المختلفة، وما خلفه الاستعمار من خنوع وخضوع»[3]، وكل هذه الأسباب مجتمعة ساهمت في رسم صورة ذات جديدة على مستوى الخطاب الروائي، الذي أصبح أكثر معقولية بابتعاده عن تضخيم الذات وتقزيم الآخر وفتحة الباب بمصراعيه أمام الحوار والمثاقفة بأبعادها المختلفة وهذا ما ترصده لنا رواية الحي اللاتيني 1953 "لسهيل إدريس" التي تترجم الوعي بالذات فهي «تبدأ مرحلة جديدة من مراحل صور الغرب في الرواية العربية مستمدة من الحقائق الاجتماعية والثقافية والتاريخية، بدأ فيها الوعي بالذات وبالآخر أكثر واقعية ومعقولية من تلك التي عبر عنها الجيل السابق»[4] وبالتالي فإن رواية "الحي اللاتيني" تمثل بداية تسلل الوعي للذات العربية التي تجاوزت مرحلة الانبهار والوعي النسبي عن طريق اكتشاف الآخر فمكاشفة الذات فالوعي بكليهما.

---

[1] – يحي حقي: قنديل أم هاشم، ص 77.

[2] – المصدر نفسه، ص 83.

[3] – منصور قيسومة: اتجاهات الرواية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، الدار التونسية للكتاب، 2013، ص 83.

[4] – ينظر: بعلي حفناوي: تمثلات الممنوع والمقموع في الرواية العربية المعاصرة، دار اليازوري العلمية، ط1، 2016، ص84.

إن «الحي اللاتيني تريد أن تؤرخ ليقظة وعي لا تفلح إلا أن تكون قصة اللاوعي، الذي يغلب الوعي ويجند له وبكلمة واحدة إن الحي اللاتيني التي تريد كما تشير آخر جملة فيها أن تكون قصة عودة إلى النهاية ولا عزوا من وجهة النظر هذه أن تنتهي الحي اللاتيني بالمشهد ذاته الذي بدأت به: سفينة وشاطئ لكن في اتجاه معكوس تدنو بدلا أن تنأى»[1] وهذا ما يتجلى لنا من خلال الرواية:

التي تبدو فيها الذات أكثر تحررًا، حيث تتجرد من الأغلال المكبلة للذات الشرقية فيها شق بطل الرواية طريقه صوب الآخر عازما على نسيان الماضي والولادة من جديد ما يعني أن حياته قبل يوم سفره لم تكن إلا مأساة تتخبط فيها الذات التي يحاصرها الواقع المرفوض من قبلها الأمر الذي جعل الكاتب يستهل روايته بلحظة تواجد البطل في الباخرة المعادلة للمنقذ الذي سيخلصه من مأساته وعذاباته ضمن جو تغيب عنه تراجيدية الفراق فراق الوطن خصوصا، الذي يفقد في هذه المرحلة قيمته عن الذات ليضحى اللاتواشج هو عنوان العلاقة بين الذات والوطن ويكون النسيان الخطوة الأولى نحو التحرر لتحقيق الحياة التي تبغيها ذات البطل بقول السارد: «وللمرة الأولى منذ بدأ يعي يشعر بقوة هذه الإرادة التي تعصف بوجوده في أن يولد من جديد إنه يريد أن ينسى حداثته وأصحابه وبضع فتيات عبرن حياته بغموض ليبدأ في أول الطريق إنسانا جديدا يستلهم الحياة بشخصية جديدة صحيح أن الدرب التي أمامه مظلمة موحشة ولكنه سيشقها»[2].

إن الولادة من جديد هو جل ما تصبو إليه الذات، التي كان الهدف الحقيقي وراء رحلتها للآخر هو رفضها لجميع المعوقات الواقفة في طريق تحقيقها لذاتها، لاسيما اللذة الحسية أو بالأحرى الجنسية منها، وما انجر عنها من كبح وكبت فرضته المنظومة الدينية والاجتماعية التي ساهمت إلى جانب الصورة المترسخة عن الآخر كمكان للنعيم بالحرية المفقودة في تعميق انشطار الذات، وتسريع نفاذ الآخر لفكرها ومن ثم الاستحواذ عليها

[1] – جورج طرابيشي: الأعمال النقدية الكاملة، ص479.

[2] – سهيل إدريس: الحي اللاتيني، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط14، 2006، ص5.

ليغدوها حسا وحلما تفر إليه للانعتاق أمام كل ما يحول بينها وبين تحقيق الذات، الأمر الذي يجعلها تترقب أول فرصة للانفلات والتملص وهذا ما نجده عند بطل الرواية وأصدقائه وجدير بالذكر أن الذات الفردية حين تخرق القوانين والقواعد أو حتى العادات السائدة يبقى هناك مكان لتأنيب الضمير والتردد والخوف لكن في حالة وجود مساندة من أطراف تنتمي لنسقها تكتسب الذات شجاعة وجرأة أكبر في إباحة المحظور، ويبدو جليا من خلال ما قاله السارد: «ولولا أن صبحي وعدنان كانا إلى جانبيه لشعر بالخوف والتهيب من أن ينتقل كذلك في أرجاء الحي اللاتيني»[1]، وفي موضع آخر: «لو أنه كان وحده لقفل خارجا قبل أن تخطو قدمه خطوة ثانية في المقهى ولوكان صبحي وحده... ولوكان عدنان وحده... إنما استمد كل منهم الجرأة على مقاومة الجو الجديد من قرب صاحبه»[2].

وهنا نلاحظ أن المكان كموقع جغرافي يمثل الآخر بصيب الذات بالرهاب لاقتناع وعيها ولا وعيها أنه بمغرياته يمثل تهديدا لها، فهي تعي جيدا ذاتها التي تملك القابلية للانفتاح على الآخر، فقد أعياها التقنع وآن الأوان للتحرر من سلطة الدين والتجرد من الموروث وكل ما من شأنه قمع الذات "فهذا كامل الذي كان في بيروت حريصا على اجتناب الناس والانطواء على النفس صار اجتماعيا والحال نفسه بالنسبة لزهير الذي لم يكن يفارقه الحزن وأسعد الدائم الصرامة اللذان تغيرا وأصبح أكثر مرحا وحيوية يقول السارد: «كأنما هم ألقوا أثقال الرصانة التي كانت ترهن أكتافهم في بلادهم وشعرو شعورا عميقا بأنهم مدعوون إلى أن يسوقوا في باريس حياة منطلقة لا يحد من حريتها قيد فاستجابوا لهذه الدعوة بكل ذرة من ذرات وجودهم وخلفوا ورائهم أغلال ماضيهم»[3]، فيصبح (البلد/ الوطن) يحمل معاني سجن الذات (الكبت، النقص، الفراغ، القمع، التمزق)

[1] – سهيل إدريس: الحي اللاتيني، ص12.

[2] – المصدر نفسه، ص13.

[3] – المصدر نفسه، ص17.

بينما الآخر/ باريس فهو (الحرية، الإشباع، الإعتاق، المتعة، الحلم) وهو المرأة الغربية التي لولاها لفقد مكان الآخر/ باريس سحره وأثره على الذات فبطل الرواية هنا مولع بالمرأة الغربية لدرجة جعلت الذهاب للدراسة في باريس مجرد تأشيرة للقائها لتغدو المحفز الأساس والهدف الرئيس والأسمى الذي يهون أمامه الهدف العلمي ويتضح لنا ذلك عبر محاورته لنفسه:

«أسبوع طويل ينقضي وفي جسدك نار تلتهب وفي مخيلتك ألف صورة وصورة لنساء عاريات متمددات على السرير... لا تحاول أن تحتج أو تتكر أجل شرقك ذلك لم يغرك بالهروب منه سوى خيال المرأة الغريبة سوى اختفاء المرأة الشرقية في حياتك»[1] وبالتالي "فسهيل إدريس" يرد إقبال الرجل العربي- المثقف خصوصا على المرأة الغربية إلى عقدة النقص الناتجة عن الأغلال المكبلة للذات، مستعينا في ذلك بالإيغال في عقد مقارنات بين المرأة الشرقية/ الغربية «إن الحي اللاتيني تتضمن في أكثر من موضع هجاء للمرأة الشرقية ولجهلها ولخوفها من نفسها ومن جسدها ومن الرجل»[2].

يقول بطل الرواية: «تطل في بسمة لا تزيد الحرمان إلا حرمانا وأن تشعرك بوجودها بلمسة تائهة خائفة بعيدة تملأ ذاتك بمئة عقدة وتميت قلبك ثقتك برجولتك... هكذا عرفت المرأة في شرقك فعرفت الخوف والحرمان والكبت والشذوذ والانطواء والخيال المريض»[3].

وبهذا فعفة وطهارة المرأة الشرقية يضرب بها الكاتب عرض الحائط فهو متمرد ثائر على العادات والتقاليد التي تفرض خطوطا حمراء بين الرجل والمرأة لا ينبغي تجاوزها يقول: «فتيات بلدك اللواتي جعلت منهن التقاليد أرواحا مذعورة بشبح الرجل ثم

[1] – سهيل إدريس: الحي اللاتيني، ص25.

[2] – جورج طرابيشي: الأعمال النقدية الكاملة، ص476.

[3] – سهيل إدريس: الحي اللاتيني، ص 25.

نشأت في نفس الرجل عقدة بأنه يخيف المرأة... وانشقت الهوة بينهما وعمقت وكانت تمتلئ كل يوم بركام جديد من أحاسيس الكبت والحرمان والخوف»[1].

"سهيل إدريس" مشفق على وضعية المرأة في المجتمعات العربية ورافض للعادات والتقاليد التي تكبلها إنه يريدها أن تتحرر منها ومن ثقافة العيب الاجتماعي والأخلاقي لذلك يبين الفوارق بين المرأة الغربية والشرقية، ولعل سهيل إدريس بالغ في نقده لشخصية المرأة الشرقية وعلاقتها بالرجل التي تخضع في كليتها لسلطة الدين والمجتمع متناسيا الجوانب الإيجابية التي تترتب عن هذا الخضوع غافلا عن الجذور التكوينية لكل من المرأة الشرقية والغربية فهما ينتميان إلى تربة تختلف مكوناتها وخصائصها ومقوماتها ما أفسح المجال لسيطرة الحكم الذاتي أو إن جاز التعبير الغرائزي في رسمه صورة سلبية عن المرأة الشرقية ليس لشيء إلا أنها لا تتفاعل مع رغبته في التحرر من ما يحسبه انغلاقا يقوقع ذاته الساعية نحو انفتاح وحرية لا يطمح من خلالها إلا للوصول إلى منتهى الإشباع الجنسي!.

وقد عزز هذا الفراغ والنقص من سلطة الآخر (الغرب) ممثلا في الأنثى الغربية التي هي نقطة ضعف ومثير للرجل الشرقي المستجيب دائما، لدرجة تصل إلى حدود التجرد من كل ما يمت بصلة إلى مقومات أو مبادئ الذات (الشرق).

«ذلك أن تطلع بطل الحي اللاتيني إلى الحرية هو الذي دفعه إلى الوطن بكل موجوداته ومشكلاته، ولم يقف الأمر ترك والهجرة بل امتد إلى حد المطالبة يفصم عرى الارتباط بالوطن نفسيا وماديا»[2].

وبعد التجرد والفصم آن الأوان لإطلاق العنان للذات فاللاشعور استيقظ من سباته الدفين ليعلن عن بزوغ فجر جديد في حياة الذات المتحمسة للتحرر والمغامرة والتمرد وهو حال بطل الحي اللاتيني رفقة أصدقائه الذين وصل بهم الأمر إلى حد الانغماس في

[1] – سهيل إدريس: الحي اللاتيني، ص49.

[2] – ينظر: بعلي حفناوي: تمثلات الممنوع والمقموع، ص88.

الرذيلة وعيش حياة إباحية بمعاقرتهم الخمر ولهوهم مع النساء لقد ولى زمن الكبت الذي كان يعيشونه في بلدانهم العربية إنهم الآن بعيدون عن الرقابة الاجتماعية غير آبهين للرقابة الإلهية شغلهم الشاغل الاستمتاع مهما كلف الثمن.

لكن سرعان ما تصحو الذات وتعود إلى أصلها حيث يتخلص البطل وأصدقائه من أوهامهم التي زينت لهم المرأة الغربية وجعلتها مركز اهتمامهم وأسمى أهدافهم، وذلك بعد بروز مفاهيم جديدة في حياتهم هي مفهوم الوطن والقومية، والتي جعلتهم أكثر وعيًا بذاتهم وبالآخر، إذ أدركوا أنهم كعرب تتحتم عليهم مسؤوليات وواجبات النهوض بالأمة العربية، يقول "فؤاد": «إن كل وطن من أوطاننا ضيق، وإن علينا أن نسعى لتوحيد هذه الأوطان»[1].

لقد ترتب عن الصحوة القومية للذات في الرواية الوعي بضرورة خدمة الوطن والدفاع عنه، وهو ما تجسد عبر مظاهرات الطلاب في فرنسا ضد سياسة التعسف التي تخضع لها أوطانهم في شمال إفريقيا وفي العالم العربي ككل، ما أدى إلى تكوينهم لرابطة الطلاب العرب في باريس، التي من أهم أهدافها الحفاظ والدفاع عن الوحدة القومية من خلال طرح قضاياهم ومعالجتها.

ويتجلى لنا ذلك عبر المحاضرات التي كانوا يلقونها، ومن أهمها «الأولى في موقفنا من المعسكرين الغربي والشرقي[2]، وقد ألقاها شاب سوري... دعا فيها إلى وجوب الحياد بين الشرق والغرب معتمدًا على مقتضيات المصلحة العربية العليا».

وبهذا غيروا رؤيتهم وتوجهاتهم وتمكنوا من إعداد أطروحاتهم والظفر بشهادات الدكتوراه، ليعودوا إلى أوطانهم وكلهم عزم على التغيير.

ما يحيلنا إلى أن الذات هنا أصبحت أكثر وعيًا بمسؤولياتها اتجاه الوطن.

[1]– سهيل إدريس: الحي اللاتيني، ص 330.

[2]– المرجع نفسه، ص332.

5-رواية الستينيات وتشظي الذات:

وتمثل الستينات من القرن العشرين مرحلة مؤسسة لكتابة روائية جديدة، لا تزال خصائصها سارية المفعول إلى غاية يومنا هذا، وذلك لهول الحدث "هزيمة العرب 1967" والتي كانت بمثابة رجة عنيفة للحضارة العربية، ببناها الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وقد طالت هذه الرجة الكتابة الروائية شكلا ومضمونا، ولولا ذلك لما استطاعت استيعاب وتصوير تشظي الذات العربية الجريحة، التي أخذ حضورها في الرواية العربية أبعادًا كثيرة، عن طريق إثارة الأسئلة الكبرى المتعلقة بالذات، والتي تعكس تمزقها وتشرذمها وتختزل ما تعيشه من تعقيد وحيرة حول مصيرها المجهول وفي خضم هذه التحولات رست صورة الآخر على أنه السلطوي والمعادي، «وفي الحقيقة أنه كان لنكبة فلسطين ومأساة شعبها أثر في تشكيل صورة الغرب الاستعماري بوصفه العدو التاريخي والمعتدي الظالم في الثقافة السياسية العربية وفي الإنتاج الأدبي والفني وفي الذاكرة الشعبية»[1].

إلى جانب أنها ميزت الرواية العربية بجملة من الخصائص منها: توظيف التراث والميثولوجيات العربية وغيرها ومرد هذا أن المثقف العربي أدرك «بعد حرب حزيران أن العودة إلى الجذور ضرورية، ليس من أجل الانغلاق على الذات وتقديس الأجداد وتمجيد الماضي والحنين الرومانسي إلى إعادته بل لمساءلة الذات من خلال مساءلة الماضي والوقوف على الخصائص المميزة والهوية الخاصة»[2]، وكل هذا ساهم في جعل الرواية جنسا منفتحا على فنون وأجناس أخرى، فظهر ما يسمى بتداخل الأجناس الذي يعكس رغبة الروائي كذات تمثل المجتمع في تجاوز الواقع بخرق المألوف وعليه «كانت

[1]- إبراهيم الدقاق وآخرون: القضية الفلسطينية وتحديات الوجود والهوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 2005، ص181.

[2] - محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق 2002، ص91.

تجربة روائي الستينات وبموجب أسباب نفسية وفكرية قد انساقت لنزعة تجريبية متمردة ورافضة لكل ما في المجتمع»[1].

وقد امتدت مغامرة الروائي في ارتياد عوالم التجريب حدود اللغة من خلال «استثمار لغة السينما في القطع والمونتاج والحذف، وما إلى ذلك من تقنيات السينما الحديثة»[2]، وعبر كسر خطية الزمن أيضا، وجدير بالذكر أن «لغة السرد في هذه الحقبة لغة شعرية شفافة مبهمة رمزية، تطغى عليها عوامل التأمل الفلسفي والبحث عن خلاص وسط زحام وركام تركات ثقيلة»[3]، إنها وباختصار لغة أكثر كثافة، أكثر رمزية وأكثر إيحائية.

ومما تقدم نستنتج أنه كان للنكسة تداعياتها المباشرة على الذات العربية فالكتابة الروائية ممهدةً بذلك للرواية المعاصرة وتجدر بنا الإشارة في هذا السياق إلى أن «ما عرفه العالم العربي خلال نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة من غزو الكويت نشوب حرب الخليج الثانية سقوط بغداد، اندلاع ثورات ما يسمى بـــ "الربيع العربي" جعل الرواية تدخل مرحلة مختلفة»[4] ولكن ليس اختلافا كليا عن رواية بعد النكسة إلا من حيث تعميقها للهوة بين الذات الشرق الآخر الغرب بالإضافة إلى غوصها في واقع الذات المتصدع الذي جعل الرواية المعاصرة تتوزع «بين تيمات الوطنية، الاعتقال، السجون... ومقارنة القضايا الاجتماعية والسياسية الراهنة والمستحدثة كالإرهاب، التسامح، الاستعمار الجديد، التطرف الديني، الطائفية في الوطن العربي، الهوية ...»[5].

[1] – ماجد عبد الله القيسي: مستويات اللغة السردية في الرواية العربية، دار غيداء، ص 43.

[2] – المرجع نفسه، ص45.

[3] – المرجع نفسه، ص41.

[4] – الكبير الداديسي: مسارات الرواية العربية المعاصرة، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، 2018، ص12.

[5] – المرجع نفسه، ص15.

كما ولا يفوتنا التنويه بالدور الذي أضحت تلعبه العتبات النصية في الرواية المعاصرة حيث تزايد اشتغال الروائيين عليها ليس لإمكاناتها الجمالية فحسب بل لقدرتها على رسم وتشكيل الذات المراد تقديمها للقارئ.

ويبدو أن الإمكانات السردية والجمالية للرواية تسهم إلى حدٍ بعيد في احتواء الذات لاسيما الذات الفلسطينية التي تعيش قلقًا وجوديًا وتأزمًا نفسيًا، الأمر الذي يجعل لحضورها خصوصية تحقق عن طريقها نوعًا من الفرادة والتميز، وهو ما سنعمل على استجلائه في رواية "ذاكرة عاشقة" لـــ "ممدوح البقاعي".

الفصل الثاني

تمثلات الذات عبر العتبات النصية في رواية ذاكرة عاشقة

توطئة

أولا: في إطار المفهوم

1-مفهوم العتبات

أ-لغة

ب-واصطلاحا

2-أنواع العتبات

ثانيا: الذات والعتبات النصية في رواية ذاكرة عاشقة

1-صورة الغلاف

2-اسم الكاتب

3-عتبة العنوان

تـــوطئـــة:

أخذ موضوع العتبات النصية حيزا كبيرا من الدراسات الحديثة، ولاسيما الدرس السيميائي منها، وذلك لأهميتها الكبيرة التي تجاوزت مرحلة الاعتباطية والعشوائية، إلى القصدية المطلقة المتعدية إلى دور يفوق الدور الجمالي، إذ صارت جزءا من غير المعقول عزله عن النص، الذي لا يمكن قراءته بمنأى عن عتباته المتشكلة من صلبه.

وجدير بالذكر أن جميع هذه العتبات هي إسقاط للذات التي تضمنتها الرواية، إذ تتراءى لنا بمجرد رؤية الغلاف، العامل على دعوة المتلقي وإشراكه في بناء صرح من الدلالات الأولية المرتبطة ارتباطا وثيقا بها، فلا تكاد تخلو عتبة من بصمتها التي تكشف لنا مجاهيلها، ومن ثمة تعيننا على الولوج لعالم النص ونحن نحمل مجموعة من الرؤى والتصورات، تتضح صحتها أكثر بعد قراءة النص، والأكيد أن المتلقي الحصيف على الرغم من اعتماد المؤلف على التكثيف والترميز والإيحاء والتلخيص في عملية بناءه للعتبات النصية، إلا أنه في النهاية يجد تواشجا كبيرا بين ما توصل إليه من نتائج أولية ونهائية مع الإقرار بوضوح الرؤية وزوال كل ضباب كان يغشاها مع قراءة المتن.

ولأن الراوئي المعاصر أدرك الدور المنوط بالعتبات النصية نجد تزايد اشتغاله عليها فهي لم تعد «في الرواية المعاصرة حلية تؤدي دورا جماليا يمكن الاستغناء عنه بل صارت جزءا حيويا من النص، تمهد الطريق أمام المتلقي وتزوده بإشارات تمكنه من التطلع إلى الدلالة العامة وتساهم مجتمعه في تشكيل دلالته»[1].

العاكسة للذات الفردية والجماعية ذلك أن الرواية الحديثة والمعاصرة «جسدت واقع الإنسان وما يعتربه من قضايا يضطلع الأدب بالتعبير عنها، ورسمت الرؤية الحديثة للأدب مناخا للتقبل غذته الكتابة والطباعة فالدلالة تتشكل في النص منذ العتبات

[1]– نزيه خليفي: البناء الفني ودلالته في الرواية العربية الحديثة، الدار التونسية للكتاب، 2012، ص49.

كالتصديرات ولوحة الغلاف والعنوان والحواشي»[1]، وعليه فإن العتبات النصية تمكن المتلقي من استشراف الذات الموجودة داخل الرواية وهو ما سنحاول دراسته في رواية ذاكرة عاشقة "لممدوح البقاعي" التي سنعمل على استنطاق بعض عتباتها للإمساك بالذات التي رسمها لنا "ممدوح البقاعي" وقبل ذلك سنتين أولا مفهوم العتبات النصية.

أولا: في إطار المفهوم

1-مفـــهوم العتـــبات:

أ-لـــغة:

جاء في لسان العرب مادة عتب «أسكفة الباب التي توطأ وقيل العتبة العليا والخشبة التي فوق الأعلى: الحاجب والأسكفة السفلى والعارضتان: العارضتان والجمع عتب وعتبات والعتب الدرج وعتب العتبة: اتخذها، وعتب الدرج من قبلها إذا كانت من خشب وكل مرقاة منها عتبة الأسكفة يعني بها خشبة الباب التي يوطأ عليها بالقدم السفلى وهي عتبة الباب التي تطأ من خلال الدار»[2].

أما في معجم اللغة العربية المعجم الوسيط فجاء «عتب عليه عتبا وعتبا تعتابا ومعتبا لامه وخاطبه مخاطبة الإدلال طلبا حسن مراجعته ومنكر إياه يعني كرهه منه وفلانا عتب وتعتابا وعتب برجل ودفع بالأخرى، ومقطوع الرجل مشى على خشبة ويقال عتب البعير نحوه مشى على ثلاث قوائم كأنه يقفز، والبرق عتبانا تتابع لمعناه والباب عتبا وطئ عتبه يقال ما عتب باب فلان ومن مكان إلى مكان عتبا اجتاز وانتقل ويقال عتب من قول العتبة خشبة الباب الذي يوطأ عليها جمع عتبة والخشبة»[3].

---

[1]- نزيه خليفي: البناء الفني ودلالته في الرواية العربية الحديثة، ص48.

[2]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص21.

[3]- مجمع اللغة العربية: معجم اللغة العربية المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، ص582.

ب-اصـــطلاحا:

تعد من أهم المتعاليات النصية والعتبة أو ما أسماه "جيرار جنيت" (Gérard Genette) في كتابه العتبات المناص «هو كل ما جعل من النص كتابا يقترح لنفسه ويتقدم إلى قرائه أو بصفة عامة على جمهوره، فهو أكثر من جدار ذي حدود متماسكة نقصد بها تلك العتبة التي يسمح لكل منا دخوله أو الرجوع منه»[1] وهذا يحيلنا على أهميتها التي تكمن «في كون قراءة المتن تصير مشروطة بقراءة هذه النصوص، فكما أننا لا تلج فناء الدار قبل المرور بعتباتها فكذلك لا يمكننا الدخول إلى عالم المتن قبل المرور بعتباته لأنها تقوم من بين ما تقوم به بدور الوشاية والبوح»[2] ما يعني أنها وسائل تفصح عن مكنونات النص الروائي بغض النظر أكان هذا الإفصاح نسبيا، أو كليا فالمهم أننا نقرأ النص بأريحية كوننا نتوقع فحواه فلا ريب إذا «أن عتبات النص تبرز جانبا أساسيا من العناصر المؤطرة لبناء الحكاية ولبعض طرائق تنظيمها وتحققها التخيلي كما أنها أساس كل قاعدة تواصلية تمكن النص من الانفتاح على أبعاد دلالية فالعتبات النصية لا يمكنها أن تكتسب أهميتها بمعزل عن طبيعته الخصوصية النصية لنفسها»[3].

وقد عرفها فيصل الأحمر في كتابه معجم السيمائيات بأنها «مجموع النصوص التي تحفز المتن وتحيط به من عناوين وأسماء المؤلفين وكل بيانات النشر التي توجد على صفحة غلاف الكتاب وعلى ظهره»[4].

---

[1]- عبد الحق بلعابد: عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص44.

[2]- عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص دراسات في مقدمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001، ص23.

[3]- عبد الفتاح الحجمري عتبات النص البنية والدلالة، منشورات الربطة، دار البيضاء، ط6، 1996، ص16.

[4]- فيصل الأحمر: معجم السيميائيات الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، ط1، 2010، ص223.

العتبة النصية العنوان يشكل «مفتاح تأويلي يفتح مغاليق النص، وبوصفها تمثل بنية افتقار لا بد من ارتباطها ببنية أوسع تتمثل بالنص الأدبي»[1].

وقد عبر عن هذا "حميد لحميداني" في كتابه بنية النص السردي بمصطلح الفضاء النصي l'espace taxtuel «ويقصد به الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها باعتبارها أحرفا طباعية على مساحة الورق ويشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف ووضع المطالع وتنظيم الفصول وتغيرات الكتابة المطبعية وتشكيل العناوين وغيرها»[2].

2-أنـــــواع العتبـــات:

لقد ميز "جيرار جنيت" بين نوعين من العتبات:

أ-العتبات النثرية الإفتتاحية:

«وهي كل الإنتاجات المناصية التي تعود مسؤوليتها للناشر المنخرط في صناعة الكتاب وطباعته»[3].

ب-العتبات التألفية: يشمل كل المصاحبات الخطابية التي تعود مسؤوليتها بالأساس إلى الكاتب "المؤلف" حيث ينخرط فيها كل من اسم الكاتب، العنوان، العنوان الفرعي الإهداء، الاستهلال، وينقسم هو الآخر إلى قسمين:

-**النص المحيط التأليفي:** والذي يظهر كل من اسم الكاتب، العنوان، العناوين الفرعية، العناوين الداخلية، الاستهلال، التصدير، التمهيد، الحواشي والهوامش أي نجده يتعلق بالنص "المتن" ولا ينقص عن الكتاب.

-**النص الفوقي التأليفي:** ويتفرع إلى:

---

[1]- عصام العسل: في كتابة السيرة الذاتية (مقاربات في المنهج)، دار الكتب العلمية، ص127.

[2] -Henri Mitterand: le discours du roman p.u.f 1980.p192.

نقلا عن: حميد الحميداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص55.

[3]- عبد الحق بلعابد: عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص، ص45.

العام: ويشمل كل من اللقاءات الصحفية والإذاعية والتلفزية والحوارات والمناقشات والندوات والمؤتمرات والقراءات النقدية ونجدها تشمل كل ما يتعلق بالمؤلف والمتن أي النص.

الخاص: والذي يضم كلا من المراسلات المذكرات الحميمية والتعليقات الذاتية وتتعلق أيضا بكل ما يحيط بالنص ولكن منشورة خارج الكتاب[1].

ونحن في دراستنا سنهتم بالنوع الثاني –العتبات التآلفية– وبالتحديد النص المحيط.

ثانيا: تمثلات الذات في رواية ذاكرة عاشقة:

1– صورة الغلاف:

ويعد عنصرا هاما ومكونا أساسيا للرواية كيف لا وهو «أول ما نقف عنده وهو الشيء الذي يلفت انتباهنا بمجرد حملنا ورؤيتنا للرواية، لأنه العتبة الأولى من عتبات النص الهامة وتدخلنا إشاراته إلى اكتشاف علاقات النص بغيره من النصوص»[2] ما يجعلنا نؤكد على أن الغلاف لم يبق مجرد بطاقة تعريف للرواية وفقط، بل أصبح نصا موازيا للنص الروائي وبهذا كان «اختبار الكاتب لغلاف الرواية ينم عن الخليفة والذائقة البصرية (الصورة والبيئة المحيطة) المكونة لذهنية الكاتب وإرثه الثقافي»[3]، لتعبر عن ذاته الفردية والجماعية التي يختزلها في روايته وقد قسم جنيت الغلاف إلى أربعة أقسام «الصفحة الأولى للغلاف: وأهم ما تجد فيها الاسم الحقيقي أو المستعار للمؤلف، عنوان أو عناوين الكتاب، المؤشر التجنيسي ...الخ، أما الصفحة الثانية والثالثة للغلاف وتسمى كذلك صفحة الداخل، كلمة الناشر كما نجد فيها ذكر بعض أعمال الكاتب»[4]، وبالتالي

[1]– عبد الحق بلعابد: عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص، ص114– 115.

[2]– عبد الرحيم ضرار: الشرق، غلاف الرواية، عتبة من عتبات النص السردي، https://www.al-sharq.com/article تم الاطلاع: 2019/05/16 الساعة 10:55.

[3]– عبد الحق بلعابد: عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص، ص49– 50.

[4]– المرجع السابق، ص114.

يشكل الغلاف فضاءً علاماتيا مترعا بالدلالات الجمالية والإيحائية، التي تلعب دورا مهما في دعوة المتلقي لدخول عوالم النص الروائي ومن ثمة مساعدته على تكوين صورة أولية عن الذات التي سيقرؤها وهذا ما يجسده لنا غلاف رواية ذاكرة عاشقة الذي يعكس خصوصية الرواية المعاصرة إذ من أول نظرة يمارس علينا سلطة جذبه وتحفيزه وبعد التأمل ندرك التناسق القائم بين جميع العتبات التي ضمها إنها تتضافر لتنقل لنا صورة الذات داخل المتن.

وتمثل صورة الغلاف «نصا بصريا تتداخل عبره العلامات الكاليغرافية والألوان المتراتبة والصورة تميل على موضوعات قابلة لأن تتعرف، فهي بمثابة لغة ثانية دالة بشكل كثيف»[1]، ويرى رولان بارث «أن دلالة الصورة في الإشهار تكون دون شك مقصودة»[2] والحال نفسه بالنسبة لصورة غلاف الرواية ذلك أن «الصورة تحمل فكرة مكثفة وضعت لوحة لغلاف الرواية من أجل أن يتأملها القارئ، ليستكشف منها الإطار الدلالي العام أو الجو الدلالي العام، الذي بداخله مطالب بتشغيل ذهنه، بمعنى آخر إنها موضوعة لتفعيل سيناريوهات معينة في ذهن القارئ»[3].

وعليه أصبح الفضاء البصري من حيث مساهمته في تشكيل الدلالة يكاد يضارع فعل الكتابة.

أ- صورة الغلاف ورسم الذات في "رواية ذاكرة عاشقة" قبل قراءة الرواية:

إن أول ما توحي لنا به صورة الفراشات المجتمعة في شكل سمكة مائلة هو أن الذات التي نحن بصدد ملاقاتها داخل المتن ذات تائهة وضائعة، في مفترق طريقين طريق الرحيل (تمثل الفراشات)، وطريق العودة (تمثله السمكة)، وبين مكانين مختلفين

[1]- أمين عثمان: توظيف التراث في الرواية التونسية أسرار صاحب الستر لإبراهيم برغوثي نموذجا، الدار التونسية للكتاب، سلسلة إضاءات 3، 2012، ص170.

[2]- Roland Barthes: Rhétorique de l'image in communication, N4, pari, 1964, p40.

[3]- عزيز القاديلي: الصورة، الإنسان والرواية عبد الرحمان منيف في "شرق المتوسط مرة أخرى"، Elkutub LTD، ط2، 2018، ص 117.

السماء/ البحر، الأمر الذي يجعلنا نحتار ونتساءل يا ترى ماذا ستختار هذه الذات؟ ولكي نصل إلى إجابة منطقية علينا الاستناد إلى المعطيات التي تفرضها الصورة ها هنا وبالتالي استحضارها:

الصورة 1: صورة الفراشات

* **الفراشات/ الرحيل:** تعد الفراشات رمزا للسفر والهجرة بحكم أنها تطير وتنتقل بشكل عشوائي كأنما هي دون وجهة، ولو تأملنا لحظة تحليق مجموعة من الفراشات سنستشعر ما ذكرناه وأكثر إذ سيتجلى لنا الشتات وعدم الاستقرار المهيمن على الصورة عبر حركة طيران الفراشات.

* **الفراشات/ السماء:** تمثل السماء المكان الواعد بالحرية التي لا تحدها حدود ولا تعرقلها قيود كما ويكسبها العلو رمزية التفوق.

الصورة 2: صورة السمكة

* **السمكة/ العودة:** إن الشكل المائل للسمكة يحمل في طياته العديد من دلالات العودة إذ يمثل حركة عودة السمكة إلى البحر بعد إطلالها وهو ما جاءت عليه الصورة.

السمكة/ البحر: نظرا للعلاقة التي تجمع السمكة بالبحر فإنه من الطبيعي أن يتحول إلى رمز للأمان والاستقرار والحياة.

ومما تقدم نتوقع أن الذات ستختار العودة كون المكان يحقق لها الأمان والاستقرار بل والحياة فما يجمعها به يشبه علاقة السمكة بالبحر هذا الأخير يقابله الوطن بالنسبة للذات إذن تيمة المكان (الوطن) وما يحمله من معاني الانتماء والهوية وتحقيق الذات سيكون حاضرا مقابل مكان الآخر وما يمنحه من إغراءات تأتي في مقدمتها إنعتاق الذات، كما تكشف الصورة عن وجود صراع تعيشه الذات ويبدو جليا من خلال الجمع بين قطبين مختلفين السمكة/ الفراشات، البحر/ السماء، السياحة/ الطيران، الأسفل/ الأعلى، وبهذا نستشف أن الذات داخل النص الروائي ذات مأزومة

تعيش الاضطراب والتناقض وحالة من الصراع مع الآخر، وهذه بعض الثنائيات التي انبثقت لنا بعد تلقينا للصورة البصرية الممهدة للذات المتشكلة داخل المتن:

1/ رحيل لعودة: وقد سبق وأشرنا إلى هذه الثنائية وملخصها أن الفراشات/ السماء رمز للسفر والهجرة والحرية أما السمكة/ البحر رمز للعودة والاستقرار والحياة.

2/ اضطراب/ استقرار: إذ معروف أن طريقة طيران الفراشات فيها نوع من اللاثبات عكس السمكة فحركتها ثابتة وانسيابية.

3/ مسجون/ سجان: تطالعنا الفراشات وهي أشبه ما تكون بمسجونة في شكل السمكة إنها السجان المقيد للفراشات.

4/ ظالم/ مظلوم: فالسمكة سجنها وحصارها للفراشات تظلمها وتحد من حريتها كما تجبرها على قبول واقع لا يمكنها العيش في ظله.

5/ صراع/ مقاومة: إن اجتماع نقيضين السمكة/ الفراشات يحيلنا على استحالة عيش أحدهما مع الآخر وبالتالي تكون هناك ردة فعل فالسمكة تريد العودة إلى بحرها والفراشة تريد العودة إلى سمائها.

ب-صورة الذات بعد قراءة الرواية:

بعد قراءتنا لرواية ذاكرة عاشقة وجدنا تقاطعا كبيرا بين ما توصلنا إليه من نتائج استشراقية حول الذات المتشكلة خارج المتن عبر صورة الغلاف والذات داخل المتن حيث تطالعنا من البداية ملامح ذات مترددة وحائرة يمثلها "سليم" الذات الفلسطينية التي عانت فقدان الوطن (القدس) والحرمان منه بعد رحيلهم إلى دمشق خوفا من أن يقتلهم اليهود كما فعلوا في دير ياسين ومن يومها يعيش "سليم" ضياع الرحيل/ العودة، ويمثل المخطط التالي دورة حياة "سليم" المتأرجحة بين رحيل/ عودة.

وللتوضيح أكثر سنأخذ كل رحلة بالشرح والتفصيل:

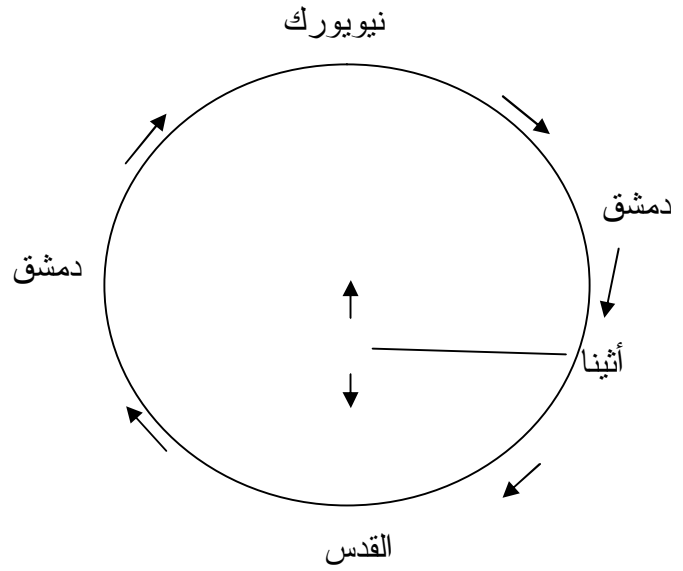

رحلة الذات الفلسطينية "سليم"

1-القدس/ دمشق: وتمثل الرحلة الأولى أين اضطر "سليم" وعائلته للرحيل والتخلي عن منزلهم وأرضهم خشية الموت على يد المحتل اليهودي.

2-دمشق/ نيويورك: وفيها رحل "سليم" إلى نيويورك لم يذكر السبب بأسلوب مباشر صريح في الرواية لكن يمكن أن نستنتج من خلال بعض الحوارات الداخلية (المونولوج) أنه كان يريد نسيان الماضي وبدء حياة جديدة.

3-نيويورك/ دمشق: حيث اضطر "سليم" للعودة إلى دمشق لأن أخته "منال" كانت طريحة فراش الموت والحقيقة أنه كان غير راغب في ذلك ليس لشيء إلا أنه يرفض استعادة ذكرياته الأليمة والمرتبطة بالوطن (القدس) لاسيما أنه دفنها وتناساها وطبعا تواجده في دمشق الوطن العربي غير البعيد جغرافيا عن القدس والذي يتوحد معها في عدة أمور منها اللغة، الدين، العادات والتقاليد... إلى جانب إحاطة أفراد عائلته به سيحرض ثوران الذكريات وهو جل ما يخشاه.

4-دمشق/ أثينا: يتغير خوف "سليم" في هذه الرحلة فبعد أن كان خائفا من استعادة الذكريات بات يخشى أن لا يستطيع التخلص منها لأن العديد من الذكريات استيقظت من سباتها الدفين معلنة تمردها عن رغبته في رميها في قبو الذكريات المنفية.

5-أثينا/ القدس: وهي رحلة مصيرية ومفصلية في حياة الذات ذلك أنه بعد مغادرة "سليم" دمشق صوب أثينا كان عازما على البقاء فيها لأيام بضيافة صديقه هناك ثم الانتقال إلى مدينة في غرب أوربا ليتابع بعدها إلى نيويورك إلا أن مخططه الرامي إلى الإنعتاق من قيود الذاكرة فشل, فذاكرته أبت مسايرته في محو وطنه القدس أصله ومرجعية هويته التي يستحيل التنصل منها خاصة بعد وعيها وهذا ما يتجسد لنا من خلال "سليم" الذي في اليوم الأول من وصوله إلى أثينا ذهب إلى الأوبرا يرفقه صديقه وهناك لم يعد مجال دعاء النسيان واصطناع إحساس الرضى عن الذات حيث تأثر "سليم" بصوت المغنية فأحبت بنبرة الحزن آلامه وذكرته بشقيقته "منال" وأحس كأنها «تلومه لمحاولاته المستمرة لرمي ذكرى بيت والد بالقدس بعيدا، تلومه لهربه إلى مكان بعيد تلومه عن سماحه لمدينة غير القدس بدخول قلبه»[1] وما هذا إلا دليل على بلوغ مشاعر الحنين ذروتها، وكذا صحوة الضمير بعد نومه الطويل، لقد غادر "سليم" الأوبرا باكيا فلحق به صديقه وبعد أن قص عليه معاناته عرض عليه مساعدته لزيارة القدس فقبل «لسبب ما غامض لم يشعر "سليم" بذلك النفور المعتاد من فكرة زيارة القدس لم يهاجمه الحنق المعتاد لم يداهمه طعم المرارة المعتاد كلما تحدث أحدهم عن زيارة القدس بل فوجئ بشعور جديد شعور الرضا»[2] الذي حمله على اختيار العودة إلى الوطن (القدس) بدل الرحيل إلى نيويورك وبهذا يصدق توقعنا الذي كنا قد توصلنا إليه قبل قراءة الرواية.

[1]- ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، مؤسسة زين المعاني لتجارة الكتب والبرامج والوسائط الإلكترونية، ط1، 2010، ص46.

[2]- المصدر نفسه، ص47.

فما يجمع الذات بالوطن أشبه بالعلاقة التي تجمع السمكة بالبحر وفي الرواية مقاطع تؤكد ذلك من بينها وصف "السارد" لحظة وصول "سليم" عند عتبة "باب العمود" في القدس «كان كأي سمكة فرحة تعود لبحر لطالما تنفست ماءه» وفي موضع آخر: «فجأة شعر "سليم" بأنه للتو قرب مكان يعرفه صار يشعر أنه بات قريبا من أماكن يعرفها لقد بدأ يقترب من مكان كانت شمس القدس قد أسقطت فيه دفئها فوق "سليم" مرة ... مكان قد قدم نفسه مرة "لسليم" بأنه هو البحر وسليم السمكة»[1] وبالتالي نستنتج أن صورة غلاف رواية ذاكرة عاشقة لم توضع اعتباطا فالسمكة/ الذات، البحر/ القدس، السماء/ نيويورك، الفراشات/ السفر والرحيل.

-قراءتنا الصورة البصرية عند اقترانها بالعنوان:

حين نقرن صورة الفراشات المجتمعة في شكل سمكة بعنوان الرواية في "ذاكرة عاشقة" يتبادر إلى أذهاننا العلاقة بين السمكة والذاكرة، إذ معروف أنها تتميز بذاكرتها الضعيفة، ولأن الذاكرة تمثل «عمق الشخصية وأساسها الرابط بين الماضي والحاضر والمستقبل»[2] فعلى ما يبدو هناك صراع بين الذات/ الذاكرة وما دامت الذاكرة عاشقة فالاحتمال المرجع هو أنها لن تستسلم للنسيان أو الضعف الذي يهددها، وتمثل الفراشات هنا ذكريات الذات وقد طغى عليها اللون الأسود الذي أخذ مساحة كبيرة مشكلا جانبي السمكة «إنه لون الشؤم والدمار والظلام والكآبة وهو كابوس» وبالتالي فللذات ذكريات حزينة ومؤلمة.

وقد توسطت مساحة الفراشات السوداء فراشات بلون برتقالي تمركزت في العمود الفقري والعين ويعد اللون البرتقالي «لون رومانسي عاطفي ودافئ لون غروب الشمس، إنه يرمز إلى الانجذاب والذوق والشوق» وعلى أساس رمزية اللون وموقع الفراشات تظهر قيمة هذه الذكريات بالنسبة للذات ولأنه «في الذاكرة تترسب الهوية

[1] – جورج تنوري: دراسات موضحة عن الإنسان مادة الفلسفة العامة، دار الفرابي، ط1، 2016، ص112.

[2] – صالح وديس: الصورة اللونية في الشعر الأندلسي، دار مجدلاوي عمان الأردن، ط1، 2014، ص124.

لتبقى وتحافظ على استمراريتها ووجودها»، جاز لنا توقع أن هذه الذكريات هي مقومات الهوية المترسخة في ذاكرة الذات والتي لا يمكنها نسيانها أو التجرد منها أو الانفصام عنها.

-بعد قراءتنا للرواية:

كنا قد توقعنا قبل قراءتنا للرواية وجود ذاكرة ضعيفة بينها وبين الذات حين استندنا في قراءتنا للصورة البصرية على العنوان وهو ما تجلى لنا منذ بداية الرواية فسليم يتميز بذاكرته الضعيفة التي حرص على جعلها هكذا- كذاكرة السمك- منتهجا سياسة التناسي لما لها من تأثيرات إيجابية تعود عليه بالنفع على الصعيد النفسي والاجتماعي، والحقيقة أن التناسي- كفعل إرادي- لم يلبث أن أدخل الذات في غياهب النسيان، وتجدر بنا الإشارة إلى الدور الذي لعبته السمكة والفراشة حيث شكلتا تيمة مركزية قامت عليها الرواية فكانتا من أهم أسباب توالد وتناسل الأحداث وذلك لقيمتهما بالنسبة للذات.

*** السمكة، الفراشة... تأريخ لطفولة مسلوبة واختراق لذاكرة مفقودة:**

نظرا لرغبة "سليم" وإصراره على إلغاء كل صورة تحمل معها شيئا عن طفولته أو موطنه كانت كل محاولة لنبش ذاكرته وإنعاشها تبوء بالفشل وتقابل بالرفض المطلق وقد أفلح في هذا لغاية قدومه إلى دمشق من أجل رؤية أخته "منال"، التي تنجح في استفزاز ذاكرته واختراق رفضه ونسيانه، متوسطة بأهم مرحلة من مراحل حياة الذات إنها مرحلة الطفولة، التي يأخذ الحنين الذات إليها مرارا وتكرارا كونها تضم أحداثا يظل وقعها مدويا في النفس مهما مرت عليه السنين، وهو ما حصل "لسليم" حين حدثته "منال" عن اللعبتين اللتين كانا يمتلكانها في طفولتهما "السمكة الفضية" و"الفراشة المذهبة".

ترد قصة السمكة والفراشة على لسان "منال" وهي في لحظاتها الأخيرة أين تبوح "لسليم" عن أمنيتها في إمساك الفراشة المذهبية بيديها إلا أنها تتفاجأ من عدم

تجاوبه ذلك أنه كان يحسبها مجرد هلوسات لذلك تسترجع له قصة حصولهما على السمكة والفراشة وكيف أهدى "الأستاذ سعيد" صديق والدهما السمكة له والفراشة لها، لمواساتهما بعد توبيخ والدهما الذي وجدهما يتلصصان عليه وهو برفقة أصدقائه في الطابق العلوي يغنون ويعزفون على العود ثم بحرقة طفلة فقدت أولى ممتلكاتها الخاصة (لعبتها) تحكي له «أبوك كان خائف أن يقتلونا داخل منزلنا فقرر مغادرة المنزل وطلب مني أن أجمع بعض الأغراض استعدادا للرحيل، وقتها الشيء الوحيد الذي كنت أتمنى حمله معي هي الفراشة المذهبة، لكن الفراشة لم تكن معي يومها كانت معك أنت أخذتها مني قبل خروجنا من المنزل بيوم واحد أخذتها وخبأتها مع أشياءك وأنا كنت غاضبة منك لأنك رفضت إعادتها إلى أبوك بسرعة حمل الأغراض وجرنا خلفه لمغادرة المنزل لا أنا جلبت الفراشة ولا أنت جلبت السمكة تركنا كل شيء وغادرنا القدس بسرعة»[1].

وبالتالي فقدان الفراشة المذهبة بالنسبة "لمنال" مقرون في ذاكرتها بفقدان الطفولة والمنزل والوطن، ولعل هذا هو السبب الذي جعلها تتمنى في لحظاتها الأخيرة رؤيتها وحملها، كما يمكن أن نفسر إخبارها "سليم" بذلك دليل على رغبتها في تذكيره بطفولته وبالتالي بجذوره وأصوله، وقد نجحت في ذلك عبر سمكته الفضية التي عادت للتسلل إلى ذاكرته الضائعة لتحيي صورتها وشيئا فشيئا بدأ يتذكر كيف كان يحملها في حارات القدس ثم لماذا خبأها مع الفراشة، وكان السبب هو سماعه لأحاديث عن دخول اليهود إلى القدس فحرص على حماية ألعابه «كان ولدا ساذجا بحق ظن الإسرائيليين قادمون لسرقة ألعابه فيها بعد فهم أن اليهود سرقوا منزله كله، بل سرقوا القدس كلها وبقي هو خارج المكان»[2]، لقد استطاعت السمكة غزو تجاهله وتناسيه للذكريات التي تربطه بالقدس، يقول "السارد" «... ومن وقتها بدأ رحلة النسيان لم يعد يفكر بزيارة مدينته لم

[1] – ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 15.

[2] – المصدر نفسه، ص 19.

يعد يفكر فيها أصلا حتى البارحة عندما ذكرته شقيقته "منال" بسمكته الفضية»[1]، وهنا نستكشف أن الأشياء لا تأخذ قيمتها من جوهرها بقدر ما تعنيه للذات ما جعل السمكة الفضية والفراشة المذهبة يكونان المحفز وراء عودة "سليم" إلى القدس وهو ما يعترف به يقول لصديقته "نادية" «منال قبل وفاتها تمنت لو تمسك الفراشة بيدها للحظة علقت هذه الكلمة بعقلي وصرت بدوري أتمنى لو أمس السمكة للحظة»[2].

«فجأة بلحظة ما قررت القدوم إلى هنا ذهبت فورا إلى منزل والدي هل تصدقين لم أكن أهتم بمن يحتل المنزل كان اهتمامي فقط لو أدخل المنزل وأبحث عن السمكة والفراشة وأستردهما»[3] وعليه لا تصبح السمكة والفراشة مجرد لعبتين إنهما همزة الوصل بين الذات/ الذاكرة (الطفولة) بين الذات/ المنزل، الذات/ الوطن.

وبالرغم من رفض المستوطن اليهودي إدخال "سليم" إلى المنزل إلا أن ابنته صوفي تساعده على الدخول خفية عن والدها الذي بعد أن تنتهي فعالية المنوم يستيقظ ليرمي "سليم" بالرصاص ساعتها تجلب له السمكة الفضية والفراشة المذهبة اللتان أنكرتا سابقا معرفتهما إذ كانت خجلة من الاعتراف بأنها سرقت منزله أشياءه، لقد رفض "سليم" مغادرة منزله قائلا «ديما أنا راض بما جرى، لقد حصلت على الشيء الذي قدمت من أجله،...هذه ليست مجرد سمكة للعب الأطفال إنها ذاكرتي ووجودي، لقد استردت حياتي التي فقدتها عند خروجي من القدس» ثم يطلب منها أن ترسلهما إلى أولاد شقيقته "منال" في دمشق.

2-عتـــبة اســـم الكـــاتب:

يعد من بين أهم العتبات النصية التي لا يمكن تجاوزها أو تجاهلها «لأنه العلامة الفارقة بين كاتب وآخر فيه تثبت هوية الكتاب لصاحبه ويحقق ملكيته الأدبية والفكرية

[1] – المصدر نفسه، ص 28.

[2]– محمود البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص19.

[3]– المصدر نفسه، ص 147.

على عمله دون النظر للاسم إن كان حقيقيا أو مستعارا» وبالتالي فهو «الذي يعين العمل الأدبي ويخصصه ويمنحه قيمة أدبية ويساعده على الترويج والاستهلاك ويجذب القارئ المتلقى» وهذا لا يعني أن وظيفته تقتصر على التعيين والإشهار فحسب إذ أحيانا كثيرة يسهم في إعطاء المتلقى تصورا عن الفلك الذي تدور فيه الذات داخل المتن لاسيما إن كان الكاتب معروفا ما يعني أن إلمام المتلقى ببعض المعلومات الشخصية والتوجهات الفكرية والإيديولوجية عن صاحب العمل على أساس أن الكاتب ابن بيئته يسهل فك شفرات العتبات النصية ويجعل الوصول إلى الذات المرتسمة في الرواية أقل عسرا والدليل أن هناك بعض الروائيين يلتزمون الكتابة بأسلوب معين وموضوعات محددة تمثل فيما بعد مرجعية للمتلقي يستند عليها، وقد يصل الأمر إلى درجة يصبح فيها حضور ذلك الروائي يستلزم حضور ذات بخصوصيات معينة (ذات فلسطينية- ذات من الطبقة البرجوازية، ذات مثقفة، ذات تحمل إيديولوجيا معينة وهلم جر المهم أن ثقافة الكاتب ثقافة اللغة، الدين، المجتمع، ...) تتمظهر لا محالة في كتاباته.

- اسم المؤلف بين المعلوم والمجهول:

في خضم بحثنا حول عتبة اسم المؤلف لفتت انتباهنا قضية نحسب أن لها من الأهمية ما يستوجب علينا إدراجها وطرحها وهي عدم حرص بعض دور النشر على تقديم معلومات حول أصحاب الروايات التي نشرت عندهم كما يتحمل الروائيون جزءا من هذا التقصير الذي يجعل القارئ (المتلقي) أمام عمل (رواية) لا يعرف من صاحبها إلا الاسم فسيرته الذاتية مجهولة وقد يجد البعض أن لا فائدة من تقديم هذه المعلومات ونحن نعارض الرأي القائل بهذا بدليل وجود دراسات أدبية ونقدية يستحيل الإقدام عليها دون توفر السيرة الذاتية للروائي التي تصبح آلية يستند عليها الباحث في تحليله خاصة تلك المتعلقة بالمكوث السير ذاتي في الرواية (الرواية السير ذاتية) إلى جانب أن امتلاك القارئ أو الباحث خلفية معرفية على الكاتب يفتح له آفاقا في القراءة

والتأويل وعليه وجب الالتفات إلى هذا المشكل لكي يتجنب الباحث اللجوء إلى وسائل التواصل الاجتماعي أثناء محاولته جمع معلومات عن كاتب معلوم مجهول وذلك لأنها وسيلة غير مضمونة مصداقيتها في ظل إمكانية حدوث انتحال لشخصية الكاتب.

-عتبة اسم الكاتب في رواية ذاكرة عاشقة.

- جاء اسم الكاتب ممدوح البقاعي في روايته ذاكرة عاشقة أسفل الغلاف حيث توسط المقطوعة الشعرية والعنوان الفرعي فعلاه اسم الشاعر نزار قباني وتحته مباشرة العنوان الفرعي رواية بلا مكياج ولها أظافر.

وقد يبدو تموضع اسم الكاتب ها هنا غير مألوف كثيرا لدى المتلقي المتعود على أن تأتي هذه العتبة غالبا في الأعلى ما يجعلنا نبحث في دلالتها التي ربما تعكس تواضع الكاتب وعدم نرجسيته كما تحيلنا على أن ممدوح البقاعي أراد أن يمنح القارئ فسحة الاستمتاع بجمالية العنوان والصورة والمقطوعة الشعرية ثم يختمها باسمه وكأنه توقيع يؤكد به ملكيته الفكرية والإبداعية.

وكونه ليست لدينا خبرة قرائية حول كتابات ممدوح البقاعي لأن رواية ذاكرة عاشقة هي أول رواية يكتبها ولا وجود لروايات بعدها ضف إلى هذا أن المعلومات التي وجدناها حول سيرته الذاتية قليلة جدا ولا تسعفنا في عملية التأويل أو استشراف الذات.

3-عتـــبة العـــنوان:

لقد احتل العنوان مكانة متميزة في الأعمال الإبداعية والدراسات النقدية المعاصرة ذلك أنه من أبرز العتبات النصية التي يجب على القارئ وليس الدارس فقط الوقوف عندها مليا واستنطاقها أولا ومن ثمة الولوج إلى عوالم النص ونظرا لأهميتها فإنه «لا يتم اختيار الكاتب لعنوان عمله عفو الخاطر إنما هو مسألة أصبحت تحتاج من

الكاتب إلى نظر دقيق وشامل طويل قبل أن يغامر ويطرح اسم مولودة الجديد أمام الملأ»[1].

فهو يراعي المواءمة بين العنوان ومضمون العمل الإبداعي «فإذا كان العنوان العلامة التي تسمى الكتاب وتميزه وبطاقة هوية الكتاب (فلا كتاب بدون عنوان) فإن اختيار العنوان لا يخلو من قصدية قد تكلف المؤلف وقتا وجهدا كبير بين قبل إخراجه ليصبح بنية دلالية»[2]، وعلى هذا الأساس «يغدو الحديث عن تفاصيل العنوان الإبداعية والنقدية لا يختلف عن الحديث عن الكتابة والقراءة»[3]، ونظرا لأهميته الكبيرة فإن «البعض جعل الاهتمام بالعنوان علما خاصا موضوعا ومنهجا وجهازا مفاهيميا Titrologie»[4].

-اصـــطلاحا:

حظيت العتبة النصية العنوان باهتمام واسع في الدراسات النقدية الحديثة «لما تشكله من مفتاح تأويلي يفتح مغاليق النص بوصفها تمثل بنية افتقار لا بد من ارتباطها ببينية أوسع تتمثل بالنص الأدبي»[5]، ويعتبره جيرار جنيت «عتبة ذات سياقات ودلالات ووظائف لا تنفصل عن بنية العمل الفني»[6]، أما رولان بارث (Roland Barthes) فيرى أنه «صاحب الدور الأول في اكتساب المتلقي معرفة بالنص»[7].

ويعرفه ليوهوك (leohoek) «مجموع العلامات اللسانية (كلمات، مفردة، جمل،...) التي يمكن أن تدرج على رأس كل نص لتحدده وتدل على محتواه العام

[1]- الجميلي محمد مطلك صالح: السرد الرسائلي قراءة في سيرة الجسد وصهيل المطر الجريح، دار غيداء، 2016، ص36.

[2]- الجميلي محمد مطلك صالح: السرد الرسائلي قراءة في سيرة الجسد وصهيل المطر الجريح، ص37.

[3]- الكبير الداديسي: مسارات الرواية العربية المعاصرة، ص155.

[4]- المرجع نفسه، ص155.

[5]- عصام العسل: فن كتابة السيرة الذاتية مقاربات في المنهج دار الكتب العلمية، ص127.

[6]- عبد الكبير الداديسي: مسارات الرواية العربية المعاصرة، ص155.

[7]- المرجع نفسه، ص155.

وتغري الجمهور المقصود»[1]، وترى بشرى البستاني أنه «الظاهر الذي يدل على باطن النص ومحتواه»[2]، ويعد محمد مفتاح «أول مفتاح إجرائي تتفتح به مغالق النص كونه علامة سيمو طبقية تضمن لنا تفكيك النص وضبط انسجامه فهو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه»[3].

دراسة لعنوان رواية "ذاكرة عاشقة" :

جاء عنوان روايتنا ذاكرة عاشقة عبارة عن جملة اسمية حذف منها المبتدأ من باب العدول بالحذف لإبراز قصدية الخبر الذي يشير إلى أن كل الأهمية محصورة فيه وبالتالي فحذف المبتدأ وترك الخبر يقضي إلى أن الخبر (ذاكرة) هو محور الرواية وقد جاء نكرة وفي ذلك دلالة على التعميم الذي حدد ما جاء بعده وهو الصفة (عاشقة) التي هي اسم فاعل يثبت عشق الذات الذاكرة.

وقد ربطنا هنا الذاكرة بالذات ليس في إطار استباقنا للذات المتشكلة داخل المتن فحسب بل لأن العنوان يبتدئ بكلمة ذاكرة وهي جزء من الذات ومكون من مكوناتها فكما هو معلوم أن لكل ذات فردية أو جماعية ذاكرة تسهم في عملية بناءها، وفي هذا السياق يرى "راما شاندران" أنه من سمات ونشاطات الذات الإنسانية أن لها ذاكرة the mnemonic self إذ «لا شك أن شعورنا بذاتنا كشخص واحد يتحرك في الزمان والمكان يحتاج إلى ذاكرة تجمع العديد من الجوانب الشخصية والذكريات التي تشكل في النهاية سيرتنا الذاتية ومن ثم شخصيتنا» وبما أن ذاكرة الذات الفردية تتماثل مع الذاكرة الجماعية كان لا بد من أن «تشكل الذاكرة أحد مرتكزات وأسس الهوية»[4].

[1] - Leo H. la marque de titre dispositifs sémiotiques d'une textuelles, mouton, paris, 1981, p5.

[2]– بشرى البستاني: قراءات في الشعر العربي الحديث دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط1، 2002، ص34.

[3]– محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1987، ص72.

[4]– عمر شريف: ثم صار المخ عقلا، نور للنشر والتوزيع، 2017، ص200.

وعلى أساس أن العنوان هو الشرفة التي نطل من خلالها على الذات جاز لنا القول أنه مهما تعددت قراءتنا وتأويلاتنا لعنوان روايتنا محل الدراسة ذاكرة عاشقة ستكون الذاكرة الأيقونة التي ترتبط بها كل قراءة للذات.

وتعد الذاكرة «مقدرة ذاتية وحاسة من الحواس الداخلية (بلغة أرسطو) تربط الماضي بالحاضر فهي تعني الوعي نحو الماضي لاستحضاره أو لبعثه في الحاضر وهي تلعب الدور الأهم بالنسبة إلى شخصية الإنسان وحياته عامة»[1] أي علاقة الذات/ الذاكرة منفتحة على الماضي كأساس للحاضر والمستقبل وتبرز أهميتها في جوانب عديدة فهي:

- تسهم في تطوير الذات.
- تعزز الوعي بالذات وبالآخر.
- تمثل همزة وصل بين الذات وماضيها (تاريخها)، حاضرها ومستقبلها.

ومما لا شك فيه أن الذاكرة بالنسبة الفردية مرادفة لسيرتها الذاتية أما بالنسبة للذات الجمعية مرادفة لتاريخ، وقد وصفها الكاتب هنا بأنها ذاكرة عاشقة والعشق يمثل أعلى درجات الحب، إذا نحن هاهنا أمام ذاكرة عاشقة يحيل حضورها إلى وجود روابط وعلاقات مقدسة بين الذات/ الذاكرة[2].

لكن يا ترى ماذا تمثل هذه الذاكرة للذات العاشقة؟ الأكيد أنها تمثل لها الماضي وهو إما المحطات التي عاشتها الذات في الماضي بما تضمنه من (أحداث، أشخاص، أمكنة...)، وإما تكون تاريخها وهويتها وانتماءها وكتابة العنوان بأزرق بعض هذه الذكريات وبالتالي فالواضح أن المتن الروائي لا يخلو من وجود: الذات/ الذاكرة وما تقتضيه العلاقة بينهما: نسيان/ تذكر، رفض/ قبول، ألم/ سعادة.

-بعد قراءتنا للرواية:

[1]- حفيظ طبابي: البناء الوطني وتحديات الاستقلال، الدار التونسية للكتاب، 2011، ص118.

[2]- جورج تنوري: دراسات موضحة عن الإنسان مادة الفلسفة العامة، دار الفرابي، 2010، ط1، ص99.

تمثل الذاكرة القيمة المهيمنة في رواية ذاكرة عاشقة والأساس الذي قامت عليه فهي تكشف معاناة ذات فلسطينية جل ما تخشاه هو التذكر هذا الأخير تعتبر «فعل هدفي للوعي موجه نحو الماضي لإعادة صياغته واستذكاره»، وقد كانت ترفضه الذات جراء ما يلحق بها من ضرره وألم نفسي تسبب فيه الآخر بمشاركة من الذات أما عن جريمة الآخر في حق الذاكرة فتتمظهر من خلال سعي الإسرائيلي المحتل والمستعمر على تشويه ذاكرة الذات من خلال جرائمه الشنيعة التي تمثل نقاط سوداء في ذاكرة "سليم" هي:

-فقدانه لمنزل العائلة بعد رحيلهم خوفا من اليهود.

-مقتل والدته وشقيقته الكبرى مع آخرين في انقلاب سيارة نقل بعدما أطلقت عليهم عاصبة يهودية النار.

-فقدانه لوطنه ومعاناته للشتات.

وبالتالي فالجاني هنا هو المستعمر اليهودي والمستهدف هي الذات، الذاكرة، الهوية، فلسطين كرقعة جغرافية تطمح اليهود في محوها وبناء دولتها.

أما عن جريمة الذات في حق الذاكرة فيبدوا أن سلاح الذات فيها هو التناسي لنسيان كل ما يمت بصلة إلى القدس «فالأنا العليا من الذات من خلال تأثيرها على الأنا السفلى وذلك بواسطة الأنا الوسطى العملية تطرد من مجال الوعي كل ما هو غير مقبول وبالتالي يتناقض معها من ذكريات الماضي فإن هذه الذكريات المنبوذة المؤلمة والمشينة تقمع وتكبت إراديا (من قبل الأنا العليا بواسطة الأنا الوسطى كما رأينا وتدفن في غياهب اللاوعي)»[1].

ولم يكن هذا بالأمر الهين على "سليم" فقد «قضى سنين طويلة حتى استطاع أن يطبع صورة أخرى مغايرة فوقها صورة مدينة غير القدس، صور منزل غير منزل

[1]- جورج تتوري: دراسات موضحة عن الإنسان في مادة الفلسفة، ص 110.

حسني الشقيري والده»[1]، فالذات لا يمكنها الاستيقاظ بين ليلة وضحاها لتجد نفسها متجردة من الذكريات خاصة تلك المتعلقة بالعائلة، الوطن، الهوية والانتماء وعلى هذا الأساس قام "سليم" بـــ:

-الانتقال إلى مكان يصعب فيه إيجاد ما يثير ذاكرته فنيويورك ليست بعيدة جغرافيا فقط عن القدس وإنما يختلفان كثيرا فلكل دولة مقوماتها وأنساقها الثقافية وشتان بين بلد عربي وآخر غربي.

-تجنبه (رفضه) دخول الأماكن العربية وتحاشيه الاختلاط بأناس عرب وسماع قصص عن فلسطين.

وعندما ظن "سليم" أنه نجح في بتر مرحلة الماضي من ذاكرته وإلغاء القدس من عقله وقلبه قرر البدء بتعلم لغة جديدة والعزف على آلة الكمان إلى جانب شراءه لخريطة نيويورك مع اليوم مشوق لها.

وهنا يبرز ارتباط وتضعضع الهوية عند اقتران الشعور بالانتماء الذي تغذيه أو تقتله الذاكرة هذه الأخير يشكل المكان درعا لها ضد النسيان، فللمكان أثر كبير في تفعيل عملية التذكر ولأرباب المذهب الظواهري رأى في هذا حيث يرون أن هناك أشياء محفوظة تسمى مساعدات التذكر عن طريقها تصبح عملية تكون الذكريات وبالتالي استعادتها أمرا ممكنا وهي مساعدات عضوية واجتماعية هذه الأخيرة «هي أشبه بنقاط الارتكاز الذي يستطيع الوعي من خلال أن يستعيد الذكريات الماضية إلى الحاضر وأهم المساعدات هذه عاملا الزمان والمكان يقول هالفكس (hallwacks) موضحا أن الماضي بذكرياته لا يحفظ بل إننا نبنيه انطلاقا من وعينا الحاضر على أساس المرتكزات الاجتماعية للتذكر وخاصة الزمان والمكان»[2]، وهو ما تجلى لنا مع "سليم" الذي كان يدرك أثر المكان على الذاكرة ما جعله يخشى المجيء إلى دمشق يقول

[1] – ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 05.

[2]– جورج تتوري: دراسات موضحة عن الإنسان في مادة الفلسفة، ص 105.

السارد: «وصحيح أنه في دمشق هنا وليس في القدس... وهذه المسافة القريبة تخيفه تجعله غير مرتاح، يخشى استيقاظ المزيد من الذكريات بداخله»[1]، وتظهر سلطة المكان أكثر لحظة رؤية "سليم" لمنزلهم عن طريق مشاهدته لبرنامج تلفزيوني كان قد حضره أولاد شقيقته هدية لأمهم وبسبب وفاتها عرضوه كمفاجأة لخالهم إنه برنامج يصور أهم البيوت الأثرية في القدس والتي كان يملكها ويقطن فيها العرب الفلسطينيين ما يجعلنا نجزم أن «البيت هو الأرضية الارتكازية التي يستند إليها المرء في تشكيل تصوراته وتوجهاته والمنبع الأول لبنائه ذاتيا واجتماعيا... لذا يكون قابعا في منطقة اللاوعي من الذاكرة والذاكرة هي الأداة الأولى لتأسيسه لأنها تحتفظ دائما بصورة الأمكنة فيتم تأسيس لحظة متخمة بالحنين متخلخلة في كوامن النفس وثناياها تمت بصلة عميقة ليس إلى ذاكرة الذات فقط وإنما الجماعة أيضا لذا نجد هذا المكان (البيت) مكانا خلاقا نسمع وقع حوافره على الذاكرة»[2]، لقد حمل البيت في رواية ذاكرة عاشقة قيمة رمزية تعبر عن ارتباط عاطفي مخلص لا يمكن قطعه أو نسيانه ليس بالبيت فقط بل بالوطن المتواجد فيه البيت الذي يلمسه «"غالب هلسا" المكان الحنيني كونه يذكرنا بالماضي ويجعل النفس في توق دائم وحنين دائب للعودة عليه»[3].

وعليه نستطيع الجزم أن علاقة الذاكرة بالبيت علاقة قدسية، ولا نقصد هنا أي بيت إنه ذاك الذي يشكل مهدا للطفولة ببراءتها وتعلقها وإخلاصها الحامل لمعاني الولاء الأبدي المتولد من إحساس الطفل بقيمة البيت فهو من يمنحه الأمان.

ومع نمو وعيه يدرك أهميته في تحقيق الانتماء الأسري فالانتماء الاجتماعي وبواسطته يخلق ميثاق أبدي بين الذات والبيت ليتوسع إلى الذات والحي ثم الذات والمدينة أخيرا الذات والوطن.

[1]– ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 8.

[2]– ميلاد عادل المولى: السرد عند شعراء القصائد العشر الطول، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2013، ص 88.

[3]– ينظر: ميلاد عادل المولى: السرد عند شعراء القصائد العشر الطول، ص 89.

-العنـــوان الفـــرعي:

جاء العنوان العرفي في مستطيل أحمر أسفل الغلاف كتب فيه "رواية بلا مكياج ولها أظافر" وهو عنوان مثير يحمل في طياته نقد لواقع الكتابة الروائية الذي ستسعى الرواية لتعريته فهي رواية بلا مكياج هذا الأخير يستعمل عادة لإخفاء وستر العيوب إما لإرضاء الذات أو لإرضاء الآخر وعليه يكتسب المكياج هنا رمز (التزييف، الخداع، الجبن، عدم القدرة على المواجهة، التصنع، التجمل، الآنية، الضعف ...) وكل هذا تتميز به الروايات الممكيجة التي تخالفها الرواية التي بين أيدينا فكأنما هي رواية استنطاق المسكوت عنه وكشف المستور.

رواية بلا مكياج	**رواية بالمكياج**
بلا تزييف	بالتزييف
بلا أقنعة	بالأقنعة
بلا خوف	بالخوف
بلا طمع لإرضاء الآخر	بالطمع لإرضاء الآخر
بلا مجاملة	بالمجاملة
بلا نفاق	بالنفاق

النتيجة	**النتيجة**
رواية بكل صراحة	رواية بكل مراوغة
رواية بكل جرأة	رواية بكل خجل
رواية بكل شجاعة	رواية بكل جبن
رواية بكل صدق	رواية بكل كذب
رواية بكل ثقة	رواية بكل تردد
رواية بكل قوة	رواية بكل ضعف

وقد أضاف الكاتب في عملية وصفه لرواية ذاكرة عاشقة أن لها أظافر هذه الأخيرة غالبا ما يستعملها الإنسان مباشرة كرد فعل للدفاع عن نفسه ومن طبيعته أنه كلما قصه الإنسان أو حتى اقتلعه نما وبهذا تشحن الأظافر في هذا السياق بجمولات

دلالية كثيرة فتصبح رمز لـــ: (القوة، الشراسة، المقاومة، الدفاع، العزيمة، الإرادة، التجذر، ...)

في المقابل تحمل الروايات التي ليس لديها أظافر كل معاني (الجبن، الاستسلام، الخضوع، الخنوع، ...).

– وعليه نستنتج أن رواية التعتيم أو التعمية إنها رواية لا تخشى فضحها للواقع سيقوم الكاتب بتعريتها وقد أثار انتباهنا المقطوعة الشعرية التي ورد فيها الضوء الأحمر كإشارة للممنوع والمقموع في الواقع العربي وبما أن رواية ذاكرة عاشقة رواية بلا مكياج ولها أظافر لن تخضع لهذا وستشغل الضوء الأخضر.

وكل هذا يقودنا إلى القول أنه ما دام الاختلاف هو المعيار الذي يتحدد به الآخر فيمكن أن تطرح رواية "ذاكرة عاشقة" الخطر المحدق بالهوية الفلسطينية ليس من طرف الآخر اليهودي بوصفه المحتل والعامل على تدمير حضارة الذات وإلغاء ثقافتها وكيانها ومحو هويتها فحسب بل تضيف الذات الفلسطينية الاستسلامية التي أمام خيار البقاء والهرب تختار الهرب هلعا من الموت على البقاء والمقاومة وهو ما يجسده لنا والد "سليم" "حسني الشقيري" الذي خوفا من تعرضه للقتل هو وأولاده (سليم، "منال") على يد اليهود ترك منزله وغادر إلى مخيم "بيت حنينا" وعند سماعه باحتلال منزله شعر بالعار لأن هناك من جيرانه من صمدوا وظلموا في بيوتهم فاستطاعوا الحفاظ عليها ولم تسرق منهم رحل إلى دمشق «ليدخل عالم صامت بجدية أكبر عالم بصمت مؤبد عالم الموت».

وعوض أن يكون الأب مثالا للمقاومة والشجاعة ونموذجا يحتذى به في الانتماء وحب الوطن الذي ينبغي أن يورثه لأبنائه كان العكس "فحسني الشقيري" رحل وتجاهل ما حدث للقدس لم يعد يذكره أبدا ليدفع بعد ذلك أولاده الثمن فصحيح أنه حماهم من الموت في القدس بتهريبهم لكنه للأسف أخذهم إلى موت أمر تكون فيه الذات حية ميتة فأي معنى لوجودها دون وطن لقد فضح ممدوح البقاعي عبر روايته ذاكرة عاشق

الخطأ الذي تقترفه الذات الفلسطينية بتنازلها واستسلامها عن بيتها ووطنها، فالأطفال في خضم هذا هم الضحية كونهم يعانون فيما بعد من أزمة ارتباك الهوية ومعضلة الانتماء وما ينجر عنها من اضطرابات وعقد نفسية تمظهرت في شخصية "سليم" الذي دفع ثمن قرار والده وها هي مدام ناديا صديقته تشرح له ذلك.

«ألم تفكر بأن ما فعله والدك كان أنانية منه... لأنه لم يفكر في أولاده لم يفكر فيك لم يفكر بأن ابنه يحتاج وطنا يعطي معنى لحياته يحتاج وطنا حتى لو كان خيمة فوق خيمة فوق كوم حجارة وطنا يقدم لابنه جسدا دافئ يحتمي به، لقد تركك والدك وحيدا مجردا من أي حماية بمواجهة العالم»[1]، والدليل أن "سليم" في الخمسينيات من عمره ولم يتزوج وكأنه من لا وطن له لا حياة له، فكيف ينجب أطفالا، ليعيشوا صراعاته مع الذاكرة، الهوية، الانتماء.

وبهذا نخلص إلى أن العتبات النصية تسهم بشكل كبير في تشكيل الذات المسرودة، وبالتالي تساعد المتلقي على استشرافها، وقد بدا جليًا من خلال دراستنا للعتبات النصية في رواية "ذاكرة عاشقة" التي تضافرت لترسم لنا ملامح الذات الفلسطينية الضائعة والتائهة بين ذاكرتها العاشقة وتشويه الاحتلال الإسرائيلي.

ولنتعمق أكثر في هذه الذات سنحاول معرفة خصوصيتها في رواية "ذاكرة عاشقة" إلى جانب الكشف عن المحنة التي تتطرحها، فالأكيد أن كل رواية موضوعها الذات الفلسطينية تطرح تأزماتها.

[1]– ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 128.

الفصل الثالث

محنة الذات الفلسطينية وصورة الآخر

أولا: الشتات وأزمة الانتماء

1-نكران الذات والعجز عن مواجهة الآخر

2-مظاهر اللاانتماء عند فلسطيني الشتات

3-رؤية فلسطيني الشتات اللامنتمي وأسباب اللاانتماء

ثانيا: ترميم حس الانتماء لدى فلسطيني الشتات

1-مراجعة قرارات الإنكار

2-إستراتيجية الآخر الإسرائيلي لطمس الهوية ومحو الذاكرة

3-إثبات الذات وتحدي الآخر

ثالثا: صورة الآخر الإسرائيلي

1-الإسرائيلي المعادي

2-الإسرائيلي المسالم

3-الإسرائيلي السلطوي

أولا: محـــنة الشـــتات وأزمـــة الانتماء:

يستند الروائي العربي في طرحه لموضوع القضية "الفلسطينية" بغض النظر عن هويته الوطنية إلى مرجعيات، يمثل الواقع بتمزقاته وتصدعاته مادتها الخام، وهو مبرر انفتاح هذا النوع من الروايات على مشاهد تبدو مكررة في الغالب الأعم، الأمر الذي جعل بعض الروائيين يعمدون إلى تجنب اجترار هذه المشاهد، ليس من باب تجاوز الواقع بقدر ما هو تعرية للذات ولو على حساب جلدها، لتعلن الرواية في هذا السياق تمردها على القارئ الذي يظن أنها ستسعى إلى تصوير الواقع فتكون فلسطين طللا، ويكون الكاتب والمتلقي العربي ممن لا يجيدون إلا البكاء والاستبكاء، لقد طوى الروائي المتمكن هذه الصفحة واعتزل سياسة مجانية القراءة، على أساس أنه ما دامت الإنسانية موضوع الرواية فعلى القارئ ارتياد مغامرة البحث عن إجابات للأسئلة التي تطرحها الرواية إنها أسئلة الذات لماذا؟ متى؟ كيف؟ هل؟ أين؟ مع ربطها بالراهن والواقع فلماذا هذا الواقع؟ متى ينتهي هذا الواقع؟ كيف حدث هذا الواقع؟ هل من مجال لتغيير هذا الواقع؟ أين أنا من هذا الواقع؟ وغيرها من أسئلة تتواءم كثيرا مع ما تطرحه رواية الذات الفلسطينية التي تعيش الشتات، و«يمثل الشتات الفلسطيني أكثر فئات الشعب الفلسطيني معاناة حتى الآن إذ وجدوا في المنطقة وفي العالم»[1].

ولعل معاناتهم تضاعف عشرات المرات معاناة الفلسطينيين الذين يعيشون في أرضهم تحت وطأة الاحتلال وفضاعته، فهؤلاء حتى في اضطرابهم استقرار إذ برغم ما يلاقونه من اضطراب في السكن أو بسبب الخوف وتهديدات المحتل يتلاشى بمجرد الشعور بأن لديهم وطن، وذلك لما له من مفعول سحري في إزالة كل هذه الاضطرابات التي تأبى أن تكون أمامه إلا لا شيء فالإحساس اتجاه الوطن «هو حس أصيل وعميق في الوجدان البشري، خصوصا إذا كان هو وطن الألفة والانتماء الذي

[1]– مها عبد الهادي: مشكلة الشتات الفلسطيني في إطار عملية السلام في الشرق الأوسط 1991–1999، ضمن كتاب مستقبل اللاجئين الفلسطينية وفلسطيني الشتات ندوات 37، عمان، الأردن، ط2، ص 467.

يمثل حالة الارتباط البدائي المشيمي برحم الأرض الأم، ويرتبط بهناءة الطفولة وصبابات الصبا ويزداد هذا الحس إذا تعرض المكان للفقد والضياع»[1].

وعلى غرار هذا نجد "فلسطيني الشتات" حتى وإن كان يعيش حياة ظاهرها يبعث على الاستقرار، فالأكيد باطنها مليء بالاضطرابات التي تقوقع الذات في غياهب الضياع والتيه بين الانتماء واللا انتماء.

وهو ما تسلط الضوء عليه رواية "ذاكرة عاشقة"، حيث تعرض لنا محنة الشتات الفلسطيني وتداعياتها على الذات، التي تعيش مرارة القهر «فلماذا هذا الشعور ملتصق بالفلسطينيين، هم من دولة ما لكنهم موجودين في دولة أخرى وهم غالبا يخططون للانتقال إلى دولة أخرى أو يتوقعون قدوم أحدهم من دولة ما»[2].

إن فلسطيني الشتات يحمل ذاكرة مشوهة مليئة بصور سوداوية، وهذا المقطع من الرواية يصف شعور "سليم" عند سماعه لمغنية الأوبرا التي أوهمه دوي صوتها بأنها أخته "منال" «صارت تروي كيف خرجوا من القدس سيرا على الأقدام، حكت عن ذل العيش في المخيمات، فوق الحجارة، قرب العقارب والأفاعي، الماء الملوث تحت الحر الشديد والبرد القارص، مع مرور الوقت حكت عن ناس مرميين بالأرض ميتين عن قرى محروقة عن قلوب محطمة عن عيون أطفال خائفة وقد تحطم أمام أعينهم عالم كان من المفترض أن يمروا به فيما بعد أن يمتلكوا أجزاء منه فيما بعد»[3].

ولعل أشد الذكريات قساوة على فلسطين الشتات هي تلك التي تذكره بلحظة الفقدان؛ فقدان البيت والوطن الممزوجة بطعم الاستسلام والهزيمة «كانت أول صورة تنزلق خارجة من قبو الذكريات المنفية،... صور أقدام عارية متسخة متشققة الجلد لامرأة وأطفالها، كان في العاشرة يسير خلف امرأة في طريق عابث ينتهي في

[1]– نوزاد أحمد عمر: الغربة في شعر كاظم السماوي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 39.

[2]– ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 26.

[3]– المصدر نفسه، ص 45.

اللامعنى بالنسبة له وينتهي في قرية بيت حنينا القريبة من القدس بالنسبة للعشرات ممن كانوا يسيرون أمامه وخلفه بينهم والده حسني الشقيري وشقيقته "منال"»[1]، وبالتالي فقدان البيت والوطن وعيش مأساة الشتات يولد الإحساس بالقهر، الذي يحدث شرخا في الذاكرة يؤثر بدوره على قابلية الذات للإنتماء.

1- نكران الذات والعجز عن مواجهة الآخر:

مما هو معلوم أن الذات تولد وهي مفطورة على الانتماء، بداية من الانتماء الأسري وصولا إلى الانتماء الوطني، مما يجعلنا نعتبر أن اللاانتماء أزمة يجب الوقوف عندها، ويقصد بالأزمة هاهنا «الوضعية المأزقية التي يوجد فيها الإنسان من دون الحلول المطلوبة والتي تستثير صراعات وجدانية ونفسية عنيفة، قد تؤدي بوحدة الشخصية وتكاملها على المستوى الفردي وعلى المستوى الاجتماعي، وتشير الأزمة أيضا إلى المواجهة الإشكالية للفرد إزاء معضلة أو مشكلة تستعصي على الحل»[2].

ولمعالجة الموضوع علينا أن نعرف أسباب وخلفيات الأزمة طبعا مع مراعاة التقيد بالذات الموجودة داخل روايتنا محل الدراسة، والتي يمثلها "سليم" فلسطيني الشتات الذي سنبحث من خلاله في هذه المعضلة، حيث يظهر لنا على أنه كان يبلغ عشر سنوات حين هاجروا من القدس، أي لم يكن يعي مفهوم الوطن وواجباته نحوه كما لا يملك أي حق في تقرير مصيره، "فالأب" هو من يتولى مسؤولية ذلك، وقد اختار ترك منزله والرحيل خوفا من أن يقتلهم الإسرائيليون، بقي عاما كاملا في مخيم بيت حنينا وبعد أن سمع بأنه تم الاستيلاء على منزله شعر بالعار فرحل إلى دمشق وشعور العجز يمتلكه، «power less ness وهو شعور الفرد بأنه لا حول ولا قوة ونقص قدرته على السيطرة على سلوكه وعلى التحكم أو التأثير في مجريات الأمور الخاصة به مع

[1]- ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 6.

[2]- "سليم" جيهان وآخرون: الثقافة العربية (أسئلة التطور والمستقبل)، سلسلة كتب المستقبل العربي، العدد 29، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، ديسمبر 2003م، ص 25-26.

شعور بأنه مقهور الإرادة والاختيار ومسلوب منها وعاجز عن تحديد النتائج التي تنشأ نتيجة لهذه الأحداث»[1].

وهو ما تلبس "حسني الشقيري" فأي حول وأي قوة يملكها أمام المحتل الإسرائيلي ليسترد بها بيته ووطنه، لذلك قرر الانسحاب «withdrawal وهو وسيلة دفاعية يلجأ لها الأنا للدفاع عن نفسه، حيث يعجز الفرد عن الابتعاد عن المواقف المهددة ومن ثم يزيح عن نفسه القلق بأن ينسحب من الموقف أو ينكر وجود العنصر المهدد»[2]، إن الانسحاب كان الدواء لشعور العجز الذي سيطر على "حسني الشقيري" ورغم حبه للقدس ولفلسطين إلا أنه قرر إنكارها وتجاهلها بل ونسيانها لم يعد يأخذه الحنين وحلم العودة إليها لقد اختار اللاانتماء لما فيه من استقرار نفسي، لا يعذبه بتقليب مواجعه والنبش في ذاكرته الجريحة، وهو ما ورثه لابنه "سليم" الذي أصبح ذاتا فلسطينية لا منتمية.

ونقصد بهذه الذات تلك الفاقدة لإحساسها بالانتماء إلى أصولها القومية والوطنية والاجتماعية وقد تطال حتى الأسرية نتيجة لعوامل مختلفة، وتجدر بنا الإشارة في هذا السياق أن للامنتمي عدة مسميات فقد أسماه "كولن ولسن" "اللامنتمي" "ألبير كامو" بـــ "المتمرد"، "كارل يونج" بـــ "الانطوائي"، "دستويفسكي" "الإنسان الصرصار"، "كرلست بهجت" "اللامكترث"[3] هذا الأخير يعرفه على أنه «ذلك الشخص اللامبالي بأي أحداث فرعية تدور من حوله... فحتى وإن بدت الساحة السياسية كارثية والأحوال المجتمعية أشبه بعواصف وأعاصير بالنسبة للبعض فبالنسبة له المحصلة صفر!»[4] الأمر الذي حصل مع "سليم" فمنزله سرق ووطنه استعمر ووالده توفي وهو غير مكترث. ومما

[1]– عصام منصور: المدخل إلى علم الاجتماع، دار الخليج للنشر والتوزيع، 2015، ص 218.

[2]– المرجع نفسه، ص 218.

[3]– ينظر: كيرلست بهجت: اللامكترث، دار تويا للنشر والتوزيع، ط1، 2018، المقدمة.

[4]– المرجع نفسه، ص 11.

تقدم هل يمكن يا ترى أن نقول أن الذات (سليم) هو ضحية على أساس أن ما شابه أباه فما ظلم؟.

الحقيقة أن الأب يتحمل الجزء الأكبر من هذه الأزمة، وفي إطار سعينا تحري الموضوعية لن نرجع السبب إلى رحيله وعدم بقائه في القدس أو في أي مكان في فلسطين؛ إذ قد يبرر فعله ويفسر على أساس ردة فعل طبيعية، خوف الأب على أبنائه وحمايتهم من الموت ليكون السبب أو بالأحرى الذنب هو تجاهله لوطنه وعدم الحرص على غرس حبه في قلوب أبنائه فعوض أن يكون قدوتهم في الإنتماء كان العكس، وقد دفعوا ثمن ذلك غاليا، فمنال كانت أمنيتها الأخير وهي في فراش الموت أن تمسك لعبة طفولتها الفراشة المذهبة التي هي رمزية للشوق والحنين وحلم العودة.

2- مظاهر اللاانتماء عند فلسطيني الشتات:

غالبا ما يكون من السهل استنباط مظاهر اللاانتماء عند الذات مهما حاولت إخفاء ذلك، لأن اللاانتماء يرتبط بالفعل أكثر منه بالقول، وأمام الذات التي نحن بصدد دراستها لم يكن من العسير تحديد مظاهر لا انتمائها، وقبل ذكرها نشير بداية على أننا سنعرف كل مظهر بنقيضه ولأن الانتماء هو الطبيعي بالنسبة للذات، ليتجلى لنا أكثر:

-**اللاانتماء الأسري:** إن «شعور الذات بالانتماء الأسري يجعلها تعتبر نفسها غصنا من شجرة كبيرة، فتشعر بأسرتها ويشعرون بها فهو تشاركهم أفراحهم وأحزانهم»[1]، أما اللاانتماء الأسري فهو قطيعة رحمية وعاطفية ينجر عنها فقدان الذات لأي مشاعر أو أواصر اتجاه أسرتها، ولأسباب مختلفة ليست بالضرورة لوجود كره أو ضغينة إذ أحيانا تنطبق هنا مقولة البعيد عن العين بعيد عن القلب، ضف إلى أن عدم الرضا عن مبادئ وقيم العائلة، قد يدفع الذات للانشطار، ومن ثمة اللاانتماء وقد تمظهر عند "سليم" بانقطاعه عن التواصل الدائم معهم عندما سافر إلى نيويورك حتى أنه لم يسمع بخبر

[1]- نبيل عبد العزيز البدري: الانتماء الوطني وعلاقته سيمات الشخصية والتماسك الأسري لدى طلبة الجامعة، ط1، 2017، ص 37. (بتصرف)

وفاة والده إلا بعد أسابيع «كان والده مريضا عندما سافر هو إلى نيويورك، فيما بعد، بعد عامين أخبرته شقيقته أن والده قد توفى ودفن في دمشق»[1].

ولم يحضر أو يتأثر بالخبر، ويمكن تأويل قسوته على أنها تعبير صارخ عن رفضه لما آل إليه بسبب والده، فما نفعه الانتماء الأسري في ظل غياب انتماء وطني.

-**اللاانتماء الاجتماعي:** نتعرف أولا على الانتماء الاجتماعي المجسد لارتباط «الفرد بجماعة، حيث يرغب الفرد في الانتماء إلى جماعة قوية بتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها»[2]، وعكسه اللاانتماء الاجتماعي الذي يتبرأ فيه اللامنتمي من قيم الجماعة التي ينتمي إليها ليصبح بذلك الآخر المنبوذ والمستهجن، كما يمثل الذات التي فقدت القدرة على التواصل والتفاعل مع مجتمعها، وما عادت تعتبر نفسها جزءا منه وهو "سليم" غير المعتز بثقافته المجتمعية، إذ لا نتحسس أصالته الفلسطينية سواء في نسق اللباس أو الأكل أو اللغة والأدهى من هذا تجنبه الحديث مع أي فلسطيني.

-**اللاانتماء الوطني:** «يعد الانتماء الوطني من أوضح نماذج التوحد مع المجتمع حيث يلاحظ تأثير شخصية الأمة National Caractère على شخصية الفرد وتطابق شخصيته مع النمط الثقافي السائد»[3]، وهو نقيض الانتماء الوطني، إذ يترجم تنازل الذات عن مقومات وطنها وعدم إيمانها بمبادئها، إنه ببساطة رفض الذات الانتساب والولاء لهوية وطنية معينة لغياب الوعي بقيمة الوطن وما يتوجب علينا نحوه، وقد حمل "سليم" هذه الصفة فعوض أن يشعر الإنسان المقيم بعيدا عن وطنه «بالضياع والغربة ويجد نفسه يتوق لوطنه ومسقط رأسه، لأنه يوفر له نوعا من الأنس والطمأنينة التي تخفف من

[1]- ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 29.

[2]- حسين الخراعي، إيمان الشمايلة: مستوى المواطنة والانتماء، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج41، ملحق1، 2014، ص 348.

[3]- نبيل عبد العزيز البدري: الانتماء الوطني وعلاقته سمات الشخصية والتماسك الأسري لدى طلبة الجامعة، ص37.

حدة الغربة وقساوتها كما يشعر بوجوده وهويته»[1]، كان "سليم" يشعر بالراحة النفسية لأنه بعيد عن القدس، لم يراوده أبدا شعور الحنين بالعودة منذ قرر نسيانها «ومن ثم صرف عدة سنين تالية في دفن مدينة القدس في أرصفة نيويورك، في رمي النتف الممزقة من القدس في الأزقة الخلفية لشوارع و أرصفة نيويورك وعندها شعر بالهدوء»[2]، وعليه فإن اللاانتماء الوطني يحمل في طياته قابلية الذات للانفصام الأبدي عن الوطني.

3- رؤية فلسطيني الشتات اللامنتمي وأسباب اللاانتماء:

يمتلك فلسطيني الشتات اللامنتمي ذاتاً انهزامية، تجعله يرى نفسه غير مطالب بفعل أي شيء اتجاه وطنه، ففقدانه الحس الانتمائي يقتل أي شعور بضرورة المقاومة والتشبث بالأرض والهوية، ومثال ذلك يتراءى حين «وجد نفسه في اجتماع كبير، ضم أفراد أسرة شقيقته ومعارفهم، وأغلبهم كانوا من الفلسطينيين المقيمين في دمشق، أخذوا يتداولون أحاديث مما يكره "سليم" أحاديث عن أرض تسمى فلسطين، أرض قريبة في الجغرافيا لكنها بعيدة جدا عن ا"لمنال"... أرض أصبحت في بطن الوحش حسب رأيه هذا حديث كان "سليم" يمقته يعتبر الأمر كله مجرد عبث فهو ممن ليست لديهم أوهام ما فقد قد فقد إلى الأبد»[3]، وبالتالي فالاحتلال الإسرائيلي عنده قضاء وقدر لا مفر منه ولا مجال للقيام بأي فعل أو ممارسة فالنتيجة محددة سلفا، ولا شيء يستحق العناء ويختزل المقطع الآتي رؤية فلسطيني الشتات اللامنتمي: «ما معنى أن يزور مدينة طرد منها! هل يذهب ليبكي هناك على عتبة منزله أم يذهب ليقتل من سرق منزله مثلا»[4]، إنه يؤسس لمفاهيم جديدة حول الاستعمار، الوطن والبيت يكون فيها الشعور بالعجز هو

[1]- نوزاد حمد عمر: الغربة في شعر كاظم السماوي، ص 39.

[2]- ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 7.

[3]- المصدر نفسه، ص 24.

[4]- المصدر نفسه، ص 27.

المرجعية التي لا مجال فيها لمقاومة الاستعمار والتضحية بالنفس في سبيل البيت والوطن.

-أسباب توغل اللاانتماء عند طفل الشتات:

أمام التهديدات التي تواجهها القضية الفلسطينية من طرف الآخر الإسرائيلي الساعي لإبادة الفلسطينيين، سواء عن طريق القتل أو التشتيت أو الاستيلاب، على الفلسطينيين التفطن لما يحاك ضدهم من مؤامرات، تجند آخر مخالفا وحتى عدوا من عقر دارهم، فانخفاض نسبة الفلسطينيين المنتمين هدف تضعه السلطة الإسرائيلية ضمن أولى أولوياتها لما له من نتائج تعود عليها بالإيجاب في إطار حملاتها الاستيطانية، ويعد فلسطين الشتات اللامنتمي وسيلة تصل بها إلى مسعاها، ما يحتم علينا البحث عن الأسباب التي ساهمت في بروز اللاانتماء عند هذه الفئة (فئة الشتات) وقد توصلنا بعد قراءتنا للرواية بالاعتماد على التأويل إلى جملة من الأسباب تأتي في مقدمتها:

الرحيل عن الوطن في سن مبكرة، تكون فيها قيم الانتماء والمواطنة هشة ما يصعب على الذات فيما بعد التمسك بمعاني الانتماء لقابليتها للتنازل عن هويتها، وهو وما حدث مع "سليم" فقد غادر القدس وعمره عشر سنوات فقط، إلى جانب غياب دور الأسرة في حياة طفل الشتات ذلك أن «الأسرة تقوم بتأصيل الانتماء والتي تعني أن الفرد في طفولته يحيا في ظل مجموعة من القيم والأفكار والمبادئ، التي تترسب في وجدانه حتى تتحول لديه إلى وجود غير محسوس، ومن خلال ذلك يصبح الفرد منتميا إلى المكان وإلى الأسرة وإلى المجتمع والوطن»[1].

فحتى وإن منعت الظروف طفل الشتات من التواجد في وطنه إلا أنه لا ينبغي تنشئته بدون حصانة يمنحها له ارتباطه بهويته التي عانى "سليم" من تضعضعها جراء انسلاخ والده عنها، لينتهج "سليم" بعد ذلك خطا مستعينا بالتناسي كل ما يمت بصلة إلى

[1]- نبيل عبد العزيز البدري: الانتماء الوطني وعلاقته بسمات الشخصية والتماسك الأسري لدى طلبة الجامعة، ص37.

القدس، والحقيقة أنه يترتب على الذات الفلسطينية واجب التمسك بالأرض ولو كان الثمن التضحية بالنفس وبالأولاد، فهو نتيجة حتمية لا يقف المكان في وجهها حين يصل أجلها ضف إلى هذا أن الرحيل بالأطفال خوفا من الموت ليس غير دفعهم إلى موت أقسى فالإنسان اللامنتمي «يعاني عذاب الوحدة والعجز وعدم القدرة»، مع ملازمة شعور الضياع والتيه والنقص ما يؤكده "سليم" الذي عاش مأزوما نفسيا.

ويساهم الابتعاد عن مكان المنبت في تنامي الإحساس باللاانتماء والتنصل، لغياب الرموز الثقافية ومعالم الهوية، وهنا نستطيع إعادة الإشارة إلى دور الأسرة في توفير هذه الرموز ولو بالقدر المستطاع، ليكبر الطفل معتزا بانتمائه مستعدا لفعل ما يلزمه للنهوض بوطنه، ويدعم هذا تجنب الأسرة بث الإحساس بالعجز وأن ما فقد قد فقد، لأن ذلك يولد لديهم ذاتا انهزامية استسلامية لا يكلفها قطع صلتها بوطنها ومعالم هويتها عناءً كبيرا، وهي الحالة التي عشناها مع "سليم" الذي يبدو أن لا انتماءه غريب من نوعه شأنه شأن والده يحب القدس في لا وعيه إلا أنه تنكر منها.

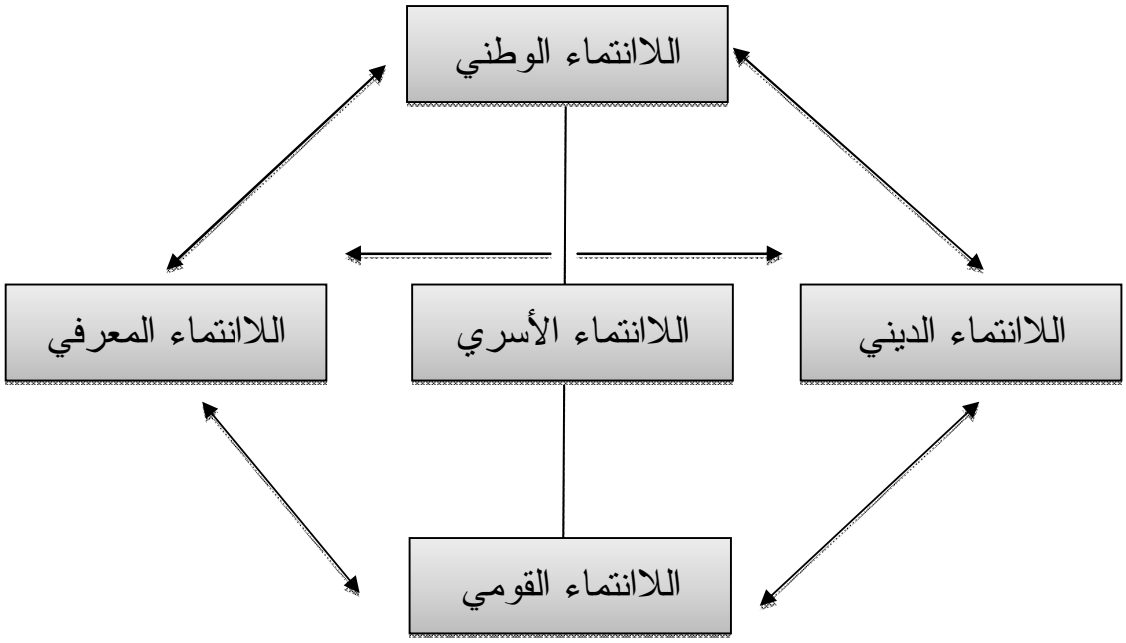

مخطط يوضح كيف يؤثر اللاانتماء الأسري على أنواع أخرى من اللاانتماء

ثانيًا: ترميم حس الانتماء لدى فلسطيني الشتات:

1- مراجعة قرارات الإنكار (إنكار الوطن، المجتمع، الهوية):

مما لا ريب فيه أن الذات الإنسانية مع تقدمها في العمر ومع تعرضها لبعض المواقف تعود لتراجع حساباتها، خاصة في حالة ما كانت تمارس الإنكار وهو ما حدث ""لسليم"" فلسطيني الشتات بعد عودته من نيويورك إلى دمشق لرؤية أخته "منال" وإخبارها له أمنيتها الأخيرة، وهي إمساك لعبة طفولتها الفراشة المذهبة ما زرع في نفسه الخوف بأن يحدث له مثلما حدث لها يقول «أخشى أن يحدث معي مثلما حدث مع "منال" أن أرقد في سرير الموت بعد سنين أخبر باللغة الإنسانية جاري البورتريكي في نيويورك أنني كم أتمنى لو ألمس السمكة الفضية بيدي قليلا بعد موتي»[1].

وتمثل السمكة بدورها لعبة طفولته ولعلنا من خلال هذا المقطع يمكن أن نستشعر خوف "سليم" لا من الموت بل من الأمنية التي تحيلنا على الطفولة، وقد قضاها "سليم" في القدس، ما يكسبها رمزية الوطن أي "سليم" خائف من الموت وبداخله أمنية رؤية القدس وهو في وطن غريب من أناس أكثر غرابة إلى جانب أن موت شقيقته أثر فيه كثيرا حيث «اكتشف ذلك الفراغ بداخله فراغ مخيف شعور قاس بأنه الآن وحيد تماما، فمع وفاة شقيقته يكون قد فقد آخر صلة تربطه بذلك العالم الذي ولد فيه، عالم لا طريق للوصول له لا طريق لاستعادته منزل مغتصب أهل ميتون ذكريات مشوهة، يشعر بالظلم لقد بقي وحيدا لا يوجد أي شخص من معارفه وقت كان طفلا على علاقة به الآن، وهو أمر مؤلم له جدا»[2].

ومما تقدم يمكن أن نستنتج أنه هناك أسباب تجعل فلسطيني الشتات اللامنتمي يراجع قراره في إنكار وطنه واختيار اللاانتماء. فتقدمه في السن ونضجه يغير رؤيته للأمور، إضافة إلى شعوره بالوحدة والغربة التي تثير مشاعر الخوف والتوجس من

[1]- ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 20.

[2]- المصدر نفسه، ص 95.

المستقبل، وكل هذه الأسباب مجتمعة ساهمت في اتخاذ "سليم" لقرار العودة إلى القدس، الذي يكشف لنا عن «رجل فقد منزله وأرضه بل ويعيش وحدة مؤلمة بعمر الخمسين، رجل يعود إلى مدينة ولد فيها يبحث عن شخص يعرفه عن حجارة منزل يألفه على الأقل»[1].

وعليه فإن الذات اللامنتمية مهما حاولت إدعاء الرضى عن نفسها لن تستطيع المكابرة عن عدم حاجتها إلى وطن يحضنها ومجتمع تتماهى فيه ليكتمل وجودها وتتحقق كينونتها «فعلى قدر إحساس الإنسان بأنه مرتبط بالمكان يكون إحساسه بذاته، بل إنها تؤكد أن للمكان قوة تقود الإنسان بالضرورة إلى دروب مختلفة من المعرفة... يميل إلى البحث لنفسه عن رقعة من الأرض يضرب فيها بجذوره وتتأهل فيها هويته»[2].

وما غير الوطن مكان يستطيع الإنسان أن يضرب فيه بجذوره فكم من منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل، وهو ما حدث "لسليم" الذي استيقظ شعور الحنين إلى البيت بداخله بعدما شاهده في برنامج يعرض البيوت الفلسطينية القديمة ليعرف ساعتها كم هو محتاج إلى بيت لا يحس فيه بأنه دخيل، وهو ما ساعد على ازدياد إيمانه بضرورة العودة إلى القدس، التي بعد وصولها إليها أول ما يلفت انتباهه تغير المعالم العمرانية والدينية والثقافية.. لمزاحمة الآخر الإسرائيلي لها لتغيب الخصوصية العربية الإسلامية والفلسطينية، ليفقد المكان قدرته على تفعيل الذاكرة وإعادة ربط الذات بأرضها لاسيما لأمثاله.

2- إستراتيجية الآخر الإسرائيلي لطمس الهوية ومحو الذاكرة:

يلعب المكان دورا كبيرا في تحديد الهوية، إذ لا هوية بانعدام المكان «فهو أساسي لتصورنا لأنفسنا وللواقع، كما أنه لازم لتحديد معالم الهوية فردية أو جماعية

[1]- ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 96.

[2]- ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م، ص 24.

فالذات تتكشف في الفضاء، أيا كان الهنا الذي لا تمحى آثاره أو الهناك الذي يمثل الاختلاف، وبمعنى آخر المكان شرط للخبرة الإنسانية، لاكتشافها وبلورتها وصقلها واكتشاف الذات من خلالها»[1]، وهو ما أدركه الإسرائيلي الذي راح يبذل قصارى جهده لإحلال هويته مكان الهوية الفلسطينية ومحو ذاكرتها، وقد اهتمت رواية ذاكرة عاشقة بكشف إستراتيجيته في مدينة القدس مسقط رأس "سليم"، والتي تمثل في «الإستراتيجية الإسرائيلية مركزا دينيا وسياسيا في آن واحد، ولهذا سعى قادة إسرائيل إلى تكريس ما أطلق عليه آباءهم في الحركة الصهيونية "الهدف الأعظم"، المتمثل في جعل القدس عاصمة موحدة لدولة إسرائيل»[2]، بمعنى تهويد القدس وأسرلتها.

والحقيقة أن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة عملت على تنفيذ هذه الإستراتيجية «من خلال ثلاثة محاور رئيسية سارت بشكل متوازي هي: السيطرة على الأماكن المقدسة والاستيطان وتغيير البنية الديمغرافية للمدينة المقدسة»، الأمر الذي فضحته الرواية عبر بطلها فلسطيني الشتات الذي وجد ما يلحق بمدينته من محاولات لتغيير وجهها العربي الفلسطيني، إذ قام الإسرائيليون بتغيير العمران والشوارع، وإعطاء أسماء عبرية للأحياء والمعالم القدسية «هكذا حددت الخريطة التي حملها "سليم"، خريطة حملت كلمات وأسماء عبرية لمدن كانت أسماءها في الأصل عربية»[3].

وهو تزوير للحقائق وللتاريخ وقد تفاجأ "سليم" بالمجهودات التي يبذلها الإسرائيليون في سبيل ذلك حيث «توجد أحياء حديثة بالكامل كما لاحظ "سليم" تجمع سكني ضخم فوق تلة، على يمين الطريق منازل بنيت كلها على نفس النمط هذه إذ ما يدعوها بالمستعمرات وجدها محاولة مفضوحة لتغطية الأرض بأي شيء كمحاولة أي لص لإخفاء ما سرقه بعملية تمويه سريعة»[4]، ولتسهيل عملية التوسع والاستيطان

[1]– عادل محمد العضايلة: القدس بوابة الشرق الأوسط، درا الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 95.

[2]– المرجع نفسه، ص 95.

[3]– ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 55.

[4]– المصدر نفسه، ص 58.

وجدت جمعيات تتولى مسؤولية ذلك والمقطع الآتي يظهرها «يلفت لويس انتباه "سليم" إلى لوحة زرقاء مكتوبة بالعبرية، معلقة فوق مدخل أحد البيوت قائلا هذه هي الجمعية التي أخبرهما عنها الشاب جمعية مساعدة اليهود على السكن في القدس»[1].

وأما التسهيلات والتأمينات التي توفرها السلطة الإسرائيلية لمواطنيها نجدها تفعل العكس مع الفلسطينيين الذين لم يكفها جعل علاقتهم بأصالة المكان كرقعة جغرافية تحكي تاريخ الذات، علاقة يشوبها الاهتراء لعدم توانيها عن أي تشويه تقحم به نفسها في كل معلم حضاري أو ديني أو ثقافي... لقد امتد الأمر إلى حدود خلق جدار تثبت به وجودها بالفعل والقوة، وتتوثق به في التاريخ «جدار الفصل الإسمنتي الذي ظهر فجأة منتصبا في أعلى إحدى التلال كوحش رابض فوق الفريسة المسكينة، يتمدد جسده البشع طويلا، هابطا مخترقا المنازل على طول التلة، يبعثر المنازل يمنة ويسرة ليختفي خلف التلة، متابعا شق بقية المنازل بوحشية، منازل انتصبت حوله في صمت وخوف»[2]، وكل هذا للتضييق عليهم وجعل فلسطين أرض بلا شعب فمن غير الإسرائيليين يسكنها!

والحقيقة أن السياسة الإسرائيلية الرامية إلى طمس الهوية ومحو الذاكرة تؤثر وبدرجة كبيرة على فلسطيني الشتات اللامنتمي، حيث تصعب عليه عملية إعادة بناء صلته بالوطن (المكان) وبالهوية، كما تجعله يأخذ وقتا حتى يثار حسه الانتمائي لأن المكان هنا لا يملك سلطة أحادية ذلك أن «الوعي بالمكان ومفرداته الجغرافية والتاريخية وعي بموقع الذات وعلاقتها بالآخر فالحوار مع الآخر يبدأ من الحوار مع المكان للتعرف على ملامح الهوية»[3]، وثبات صورة المكان في الذاكرة وتطابقه مع الواقع يدعم إحساس الذات العميق بالهوية، وطبعا هذا ما لا يريده الإسرائيلي وكنا

[1]– ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 69.

[2]– المصدر نفسه، ص 104.

[3]– زايد محمد إرحيمة الخوالد: صورة المكان في شعر عز الدين مناصرة، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012، ص 20.

توصلنا إلى هذه النتيجة من خلال المقطع الآتي: «إن هذه الحارة حارتي "سليم" يكلم نفسه كم بذل الإسرائيليون جهدا لتغيير معالم الحارة، لقد غيروا واجهات البيوت عدلوا في تعرجات الحارة لهذا السبب "سليم" لم يتذكر هذه البيوت تماما لهذا لم يتذكر هذه الجهة من الحارة»[1].

إن القضاء على الأماكن الإسلامية المقدسة وعلى رأسها المسجد الأقصى يمثل أخطر إستراتيجية إسرائيلية، كونها تهدف إلى «طمس الهوية الدينية للمسلمين في القدس وإقناع العالم بأن هذه المدينة يهودية خالصة، لا ينازعهم فيها أحد»[2]، وللوصول إلى مآربهم توجوا أنفسهم مشرفين على إدارة المسجد الأقصى لدرجة وضعوا فيها حاجزا عسكريا لا يمكن لأي مسلم الدخول للمسجد بدون السماح له، وهذه صورة قدمتها لنا الرواية «الجميع يتحركون باتجاه لمسجد الأقصى من جهة باب الحطة... سرعان ما يصلون حاجز عسكري أقامه جنود الاحتلال على مقربة من السور المحيط بالمسجد قبل باب الحطة بعدة أمتار فقط، حيث اصطف أمام الحاجز مجموعة كبيرة من الفلسطينيين من مختلف الأعمار أغلبهم ممنوع من متابعة الطريق إلى داخل باحة المسجد، بينما يسمح للبعض من الكبار بالسن والأطفال الصغار بالمرور، مما يثير غضب بقية الرجال الذين انخرطوا في شجار وصياح مع الجنود الإسرائيليين»[3].

إن هذه الإجراءات والمعوقات تطمع من خلالها السلطة الإسرائيلية إلى بث روح اليأس في نفس الفلسطينيين، وبالتالي تنازلهم وتجدر بنا الإشارة في هذا السياق إلى أن فلسطيني الشتات قد لا يتجلى بروح العناد التي يملكها الفلسطيني الذي يعيش في الأرض منذ نعومة أظافره، ونشأ على قيمة المسجد الأقصى وضرورة التشبث به بكل استماتة فهذا "سليم" حين سألته "ناديا" إن كان يريد الذهاب مع أصدقائه إلى المسجد

[1]– ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 70.

[2]– عادل محمد العضايلة: القدس بوابة الشرق الأوسط، ص 95.

[3]– ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 181.

كانت إجابته كالتالي «ليس الأمر أني غير راغب بدخول المسجد لكنني غير متحمس الآن لدخوله، فأنا لم أدخل مسجدا منذ أكثر من أربعين عاما، ثم توجد مشكلة ثانية أنا بالتأكيد لا أريد الذهاب للاصطدام مع الجنود الإسرائيليين عند باب المسجد»[1]، ما يحيلنا إلى الجزم بأن هذه الإستراتيجية مدروسة وتمارس مفعولها بسرعة على فلسطيني الشتات اللامنتمي، يقول "سليم": «إذا كنت أريد الذهاب لزيارة المسجد الأقصى فأريد أن تحدث تلك الزيارة بجو هادئ، أريد أن أتمتع بوقتي هناك لا أن أهان وأهدد بالسلاح»[2].

وتتواصل دناءة المحتل الإسرائيلي لتبلغ قيمتها مع عمليات حفرها تحت المسجد الأقصى بحجة البحث عن الهيكل، لتسطير على المسجد الأقصى بإثبات يهوديته وقد جاء ذكر هذا في الرواية حيث توجد بالغرفة التي سكن بها "سليم" «صورة كتب عليها بخط أحمر عريض أنقذوا المسجد الأقصى من الحفريات، وتظهر في زاوية الصورة أعمال ورشة إسرائيلية تقوم بحفر نفق تحت المسجد»، وبهذا نخلص إلى أن إسرائيل تسخر جميع إمكاناتها لطمس الهوية العربية الفلسطينية ومحو ذاكرتها، والتي يكون في خضمها فلسطيني الشتات اللامنتمي أكثر المتضررين لأنه طعم سهل ا"لمنال" بالنسبة لها.

-فلسطيني الشتات بين واقع اللإنتماء والانتماء:

بحكم أن فلسطيني الشتات اللامنتمي يعاني من حس انتمائي هش غير قادر على التمسك بهويته وانتماءاته الوطنية والدينية و... فإنه لا يعقل أن ننظر من الوطن (المكان) المشوه والمحاصر بقوة واستبداد الآخر الإسرائيلي التأثير فيه، والقضاء على مخلفات الشتات بكل سهولة، الأمر الذي يتجسد لنا من خلال "سليم" الذي بعد أن اعتقلته الشرطة بتهمة دخول منزل بالقوة والذي هو منزله في الأصل تملكته الذات الانهزامية

[1]- ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 179.

[2]- المصدر نفسه، ص 167.

حيث «نوى أنه ما إن يخرج من هنا حتى يذهب إلى المطار فورا، عائدا إلى عالمه هناك في نيويورك يعرف أنه عالم وهمي لكنه على الأقل شيء يملكه»[1].

فعوض أن يزيده الأمر قوة وتحديا على مواجهة الإسرائيلي الهادف إلى إقصاءه وتهميشه، استسلم راضيا بعالم وهمي لن يجني منه إلا الضياع، على عالم حقيقي بقدر الألم المتحمل لأجله بقدر ما يمنح من مشاعر الرضى والسعادة، ولكن ورغم الانهزام نلحظ وجود مؤشر إيجابي عند فلسطيني الشتات اللامنتمي هنا، وهو وعيه بأن أي مكان دون فلسطين عالم وهمي، ومع ذلك يبقى الوعي بالأمور حاجة ماسة إلى أفعال تترجمه ويبدو أن "سليم" يفتقر للشجاعة والقدرة على مواجهة العدو الإسرائيلي، التي من خلالها تبرز استحالة اجتثاث الفلسطيني من أرضه، ودليل ذلك أن "سليم" بعد احتجازه في مركز المسكوية المخصص لاعتقال الفلسطينيين طلب من المحامي الإسرائيلي بذل جهد لإخراجه مقابل أي شيء حتى أنه مستعد للخروج من الحجز إلى المطار مباشرة لمغادرة البلد مع التعهد بعدم العودة نهائيا، لقد ظن أنه بهذا يتم الإفراج عليه، ليجبره المحامي بعد مقابلته الضابط المسؤول «الضابط قدر بإيجابية عرض "سليم" بمغادرة البلاد فورا ولكنهم بجميع الأحوال مضطرين لاحتجاز "سليم" يومين أو ثلاثة على الأقل وذلك لاستكمال التحقيقات حول ما حدث، وعند انتهاء التحقيقات وفي حال لم يثبت شيء ضد "سليم" فسوف يرحل في أول طائرة مغادرة خارج البلاد»[2].

رمي بسليم في الزنزانة وحينها أحس بطعم الإذلال المرافق لحياة الفلسطيني في أرضه ومدينته، لتبدأ بهذا مرحلة جديدة من حياته لا مجال فيها للاستسلام والانهزام، فتلك الزنزانة فجرت بداخله روح العناد والتحدي يقول: «من أين أتت هذه الروح، روح العناد، لابد أنني قد التقطتها من هنا، من هذا الركن، لابد أن أحد المعتقلين قبلي كان قد نحتها هنا...» وبعد مساعدة صوفي ابنة المستوطن اليهودي الذي يسكن منزلهم

[1]– ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 76.

[2]– المصدر نفسه، ص 79.

على خروجه من السجن وبقاءه في القدس الذي يعلن "سليم" عن رغبته وإيمانه في الانتماء إلى وطنه وهويته، وشيئا فشيئا يتأكد "سليم" من أنه كان يعيش اللاانتماء عبر اختلاطه بالفلسطيني المنتمي.

الفلسطيني المنتمي: وهو نموذج لذلك الفلسطيني المتمسك بانتمائه الوطني والقومي والاجتماعي، أمام محاولات زعزعة ولاءه من طرف المحتل الإسرائيلي والتي تبوء بالفشل، كون المنتمي يمثل ذاتا واعية لا يمكن إغراءها لاسيما في ظل قدرتها على الصمود المستمد من إيمانها العميق بقضيتها.

«إذ أن هذا الفلسطيني المنتمي يملك إحساسا متماسكا بالذات، يعتمد قيما مستقرة ثابتة وهو على قناعة بأن أعمال المرء وأخلاقه ذات علاقة متناغمة، تجعل منه شخصا سويا فالانتماء لديه شعور بالكلية والاندماج، يجعله قادرا على معرفة إدراك ما هو خطأ وما هو صواب»[1]، وبالتالي فالشعور بالانتماء علامة من خلالها يتحدد الشخص الطبيعي من المريض نفسيا، وقد لا نبالغ في حكمنا على استحالة غياب الصورة في الرواية التي تطرح قضية الوطن المستعمر، ومما لا ريب فيه أن الذات الفلسطينية المنتمية حضورها في الرواية يكتسب بعض الفرادة بسبب التحديات والأزمات التي تواجهها.

وتقدم لنا رواية ذاكرة عاشقة صورا إيجابية متعددة للفلسطيني المنتمي، الذي لعب وجوده دورا مهما في حياة فلسطيني الشتات اللامنتمي ومساعدته على الوعي بذاته.

ويسعى الفلسطيني المنتمي الحفاظ على هويته من الذوبان والتلاشي عبر تعزيزه للعلاقات التي تربط الأفراد ببعضهم، وتنمية الميل نحو الجماعة للتأكيد على التماسك والتفاعل الاجتماعي الذي يقود إلى تقوية الانتماء، وهو جانب ركزت عليه الرواية كثيرا انطلاقا من أن تواجد الفلسطيني في أرضه وبين أفراد مجتمعه لا يعني انقطاعه

[1]- ينظر: سليم جيهان وآخرون: الثقافة العربية (أسئلة التطور والمستقبل)، ص 37.

على الفلسطينيين المهاجرين أو المنفيين، فهم جزء لا يتجزأ منه و ابتعادهم جغرافيا يقابله حضورهم وجدانيا، وهو ما أدهش "سليم" عند ذهابه إلى الحارة حيث سأل شابا عن ما إن كان يعرف بيت "حسني الشقيري" فأجابه الفتى ولم يكتفي بهذا بل أخبره عن قصتهم «سليم يدهش لمعرفة هذا الشاب بهذه التفاصيل، رغم أنه على الأغلب لم يكن قد ولد بعد عندما غادر هو القدس مع والده».

كما كشف له حديثه مع ناديه معرفتها بأخبار الجميع ولتزيل حيرته أطلعته بكيفية إلمامها بكل هذا قائلة «عليك أن تجرب أكثر السهرات الفلسطينيين فكل ما نتحدث عنه هو أخبار الآخرين في الضفة أو غزة في الداخل أو في الشتات»، ما يبرر المستوى العالي للشعور بالانتماء عند الذات الفلسطينية المتجاوزة للارتباطات المادية إلى ارتباطات أشد متانة، تتواشج فيها أواصر وحدة الهوية والانتماء هذا الأخير يتراءى لنا عبر جملة ممارسات وأفعال الذات التي تأخذ صور التضحية والمقاومة والتحدي في سبيل تأكيد الانتساب إلى الوطن ومقاوماته، وهو ما يفعله المنتمي دون كلل أو ملل ونعثر في الرواية على نماذج عديدة منها: ما يفعله سكان القدس عند دخولهم المسجد الأقصى كتحدي للاحتلال وتأكيد على الانتماء الديني، يقول عبد القادر صديق "سليم" «دخول المسجد الأقصى والصلاة فيه أصبحت عادة روتينية لدى كل سكان القدس حتى أنها أصبحت عادة كذلك لدى الفلسطينيين القاطنين في البلدات المجاورة للقدس لا يجب أن ندع الاحتلال يظن أننا سوف نتخلى عن المسجد»[1].

وتجدر بنا الإشارة في هذا السياق أن فعل المقاومة عند الذات الفلسطينية المنتمية يتسم بغياب تراجيديا الموت الذي يأخذ معان جديدة فالفلسطيني المنتمي المقاوم والمناضل يضع من البداية نصب عينيه الموت كضريبة يدفع بها ثمن انتمائه يقول سمير: «مقاومة الاحتلال لا يستطيع أي شخص ممارسته والدي كان يستطيع بكل بساطة تجاهل الاحتلال وعيش حياة طبيعة بقدر ما يستطيع لكنه فضل مقاومة الاحتلال

[1]– ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 175.

ودفع حياته ثمنا»[1]، فالذات المنتمية لا تستطيع البقاء خارج دوائر النضال والمقاومة والكفاح.

لقد حظيت المرأة في رواية "ذاكرة عاشقة" بالنصيب الأوفر في التعبير عن الذات الفلسطينية المنتمية التي مثلتها "ناديا جبريل" أستاذة جامعية زوجها توفى في سجن إسرائيلي، كان عضوا في إحدى المنظمات الفلسطينية اليسارية، اعتقل عند حدوث الانتفاضة الأولى، لديها ثلاثة أولاد حسان الابن الأكبر درس الهندسة ويدير عملا تجاريا متواضعا بالقرب من المنزل، ديما التي بدأت بطريقها لتصبح مخرجة وسمير الابن الأصغر الذي ما زال يدرس في الجامعة، أنشأتهم على حب فلسطين والاعتزاز بتاريخ بلدهم وتاريخ والدهم، وهو مبرر ردة فعلهم العنيفة اتجاه "سليم" حين عرفوا أنه كان يتجنب سماع قصص عن فلسطين تقول له ديما بسخرية «كيف لأي أحد أن يتجنب ما حدث في فلسطين؟! ما فعله السيد "سليم" يسمى إنكار تقصدين أنه ينكر ما حدث، يمارس الإنكار ضد الاحتلال واغتصاب منزله ومدينته ووطنه وإذا كان هذا قصده فهو أمر سخيف»[2]، إن رؤية ديما تنم عن ارتباطها بفلسطين ورفضها للآخر اللامنتمي، وتحيلنا إلى الدور الذي تلعبه الأم الفلسطينية المنتمية في زرع قيم الانتماء وحب الوطن ونحو ذلك.

إن "ناديا جبريل" امرأة مثقفة وواعية استطاعت اختزال واقع حياة الفلسطيني في خيارين

-أولهما: الإنكار ويتحقيق عبر رحيل الفلسطيني من أرضه وتجاهله لكل ما له علاقة بذلك، بمعنى إنكار الذات، الوطن، الذاكرة، الهوية، المجتمع.. وعيش اللاانتماء كما فعل "سليم" ووالده.

[1]- ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 127.

[2]- المصدر نفسه، ص 126.

-ثانيهما: قبول الألم: ومعناه أن يفهم الفلسطينيون أخطائهم بالتعامل مع ما جرى من جهل وضعف كانوا عليه عندما دخل اليهود فلسطين، وقد أعدوا أنفسهم لاحتلال أرضهم وفهم أخطائهم التي قادتهم إلى المزيد من الفشل من النكبة إلى النكسة إلى حروب أخرى لم تقدم لهم سوى مرارة الإحساس بالعجز.

وبالتالي الانتماء الوطني هو الحل الذي من خلاله يتدارك الفلسطيني أخطاءه السابقة، المتمثلة في إعطاء الإسرائيلي العدو فرصة التوغل في الأراضي الفلسطينية وبهذا ساهمت "ناديا" في استرجاع "سليم" لشعوره بالانتماء، بعدما رأى فيها نموذجا للفلسطيني الذي ينبغي عليه أن يكون أدرك المعنى العميق لكلام ناديا كلامها عن قبول هذا الألم بمقابل الشعور بان هذه بلده، هذه أرضه وهذا منزله سيبقى منزله مهما فعل الاحتلال من قتل وظلم، ليحكم على ما فعله طيلة حياته كان خطأ، وهذا اعتراف منه يقول لها «ولو تدركين كم هو صعب لشخص بعمري أن يراجع قراراته التي يسير بها حياته، ليحكم عليها الآن بالخطأ وليشعر بنفس اللحظة بالحاجة لتصحيح تلك القرارات»[1].

لذلك قرر "سليم" دخول منزله دون تردد أو تراجع، إنه يريد التحدي الذي ألهمه به أكثر، وجود رجل عجوز رفقة زوجته داخل المسجد تحت ظل شجرة لم يكن ينويان الصلاة فقط إغاظة جنود الاحتلال، حيث «بعد عدة أمتار أتته فكرة غريبة، لماذا لا يفعل مثل العجوزان فيذهب ويدخل منزله إغاظة وتحدي للاحتلال، ولوالد صوفي الرجل العجوز ليس أقوى منه ولا أشجع منه».

لقد كان لدخول "سليم" المسجد واندماجه مع أبناء مجتمعه الفضل في تحوله من ذات فلسطينية لا منتمية إلى ذات فلسطينية منتمية عازمة على التمسك والدفاع عن هويتها مهما كلفها الثمن، يقول السارد: «لأول مرة "سليم" يدرك معنى الانتماء أن تنتمي

[1]- ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 184.

لجماعة ما انتماء يسهل لك الحركة، انتماء يعتني بك يجعلك تشعر بالأمان انتماء يعطي معنى آخر لحياتك».

3- إثبات الذات وتحدي الآخر:

إن الثمن الذي تسدده الذات مقابل انتمائها وولائها في ظل الاحتلال يكون غاليا جدا حيث يتنوع بين النفي والتهجير، وبين معايشة العنف، الاستبداد وترقب الموت هذا الأخير يعد«مفهوم مجرد حقا ولكنه حقيقة مادية، وفعل واقعي شأنه في ذلك شأن مفاهيم أخرى مجردة كالخوف من الوحدة، أو التقدم في العمر، وغيرهما من ما يمكن أن يؤثر فينا ونخشاه كما توجد فروق فردية في الاستجابة لمقاييسه»[1].

ولعله يجوز لنا القول أن ثمة فروق حتى بين الشعوب والأمم في رؤيتها أو بالأحرى تقبلها، ليس للموت وحده بل لفكرة الذهاب إلى الموت دون خشية أو خوف ما يحيلنا إلى أن الذات المستعمرة لديها فلسفة أخرى للموت، وهو الحال نفسه بالنسبة للذات الفلسطينية التي لم تعد تراه فاجعة كبيرة، بالرغم من الأسى الذي يسببه ومبرر ذلك أنه نشأت علاقة حميمية بين الذات الفلسطينية والموت، فقد أدركت أنه من خلاله تعيد بناء وإنتاج الوجود الفلسطيني، هذا إلى جانب وعيها التام بأن الموت في سبيل الوطن أهون من الموت خارج فلسطين التي تصبح فيها الحياة موتا كما حصل "لحسني الشقيري" الذي عانى قهر الشعور بالذل والعار لهروبه من منزله ووطنه وويلات الحنين والإنكار لانتمائه فهو كان ميتا بالمعنى السيكولوجي، الأمر نفسه بالنسبة "لسليم" قبل عودته للقدس، التي على أرضها ذاق معنى الحياة الحقيقية بعد ما ولد حس الانتماء بداخله، الذي جعله يفهم معنى الوطن، معنى الهوية، معنى المجتمع، وأثرهم على الذات، ما حمله على قبول الموت في بيته المسلوب كإثبات للآخر بأنه موجود ومستعد للمواجهة والمقاومة، على الهرب ونسيان أن له بيتا ووطنا ومجتمعا.

[1]- أحمد محمد عبد الخالق: قلق الموت، عالم المعرفة الكويت، 1998م، د.ط، ص38.

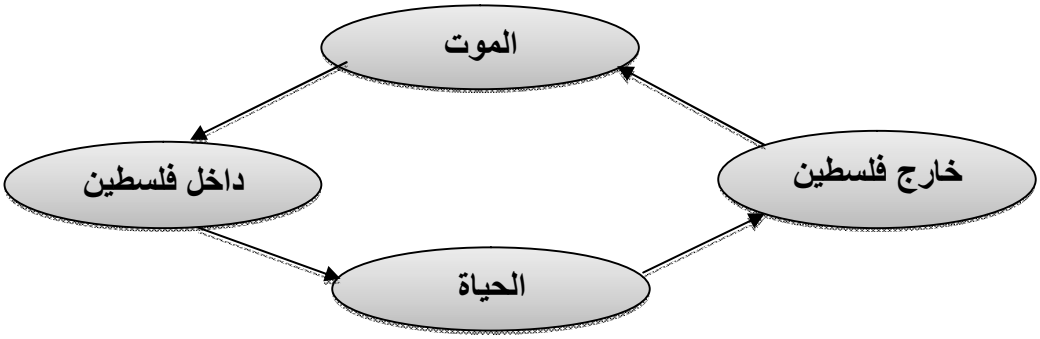

فلسفة الموت عند الذات الفلسطينية المنتمية

ثالثًا: صورة الآخر الإسرائيلي

يعد علم الصورة أحد أهم فروع الأدب المقارن الذي يبحث عموما في رؤية الذات لثقافة وحضارة الأخر، وهو ما جعله فرعا يستقطب «اختصاصات متعددة: الأنثروبولوجيا، علم الاجتماع وتاريخ الأدب والتاريخ السياسي وعلم نفس الشعوب يهتم أساسا بثقافة الآخر والأخرية والهوية والمثاقفة والاستيلاب الثقافي والرأي العام والمتخيل الاجتماعي»[1]، وبالتالي فالآخر هو مجال دراسة الصورة Imglogie والذي يأخذ صورا متعددة بطريقة، أو بأخرى رؤية الذات له، والأكيد أن هذه الصورة تستند إلى مرجعيات عديدة: تاريخية، اجتماعية، ثقافية، وحتى نرجسية تتجسد عبرها تفاعلات الذات مع الآخر إلى جانب تماشيها مع الظروف والسياقات المختلفة من زمن لآخر، فقد يكون الآخر العدو اليوم هو الآخر الصديق غدا، وفي كل الحالات يجب الوعي بأن دراسة الصورانية تهتم «بمعرفة الصورة الذهنية التي يشكلها الإنسان عن ذاته وعن الآخر لذلك فإن أية صورة للآخر هي انعكاس للأنا سواء كانت تجسد اختلافا الآخر مقابل الأنا، أم لقاء الآخر يشبه الأنا، وبذلك تعد هذه الصورة فعلا ثقافيا يقدم تفاعل الأنا مع الآخر... خاصة أننا نتلمسها عبر الأدب الذي يطلعنا على مفاهيم الآخر وموروثاته الشعورية واللاشعورية كما نعيش من جهة أخرى أوهام الدارس نفسه عن الآخر»[2]، ودلالة الصورة مفتوحة على كل من الذات والآخر لأنه لو لم يكن هناك وعي بالذات ما تشكلت صورة للآخر، ولو لم يكن هناك آخر ما كان هناك وعي بالذات.

وتجدر بنا الإشارة في هذا السياق إلى أنه ليس بالضرورة أن تكون الصورة التي نقدمها عن الآخر واقعية وحقيقة، إذ قد تفتقر أحيانا للرؤية الموضوعية بسبب مزاحمة الذاتية، وتعمد الكاتب تقديم صورة تتنافى مع الواقع ونحسبها أكثر إثارة من

[1]– محمد الداهي: صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2013م، ص 8–9.

[2]– ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 195.

الصورة العاكسة للحقيقة، لذلك يجب الوقوف عندها مليا ومحاولة الوصول إلى دوافعها الخفية.

ولعلنا لا نبالغ إذا اعتبرنا أن الروايات التي كانت القضية الفلسطينية محورها أرض خصبة لدراسة صورة الذات والآخر كونها تحفل بالتعددية على مستوى توظيف أكبر عدد من النماذج والعلاقات البشرية، ومرد هذا أن إدراك حضور الآخر يؤدي إلى شعور الذات بالاختلاف والتميز، كما أن الوعي بالذات والهوية يتنامى ويزداد عندما تعقد الذات المقارنات مع الآخر في نواحي التضاد والاختلاف أو التوافق والتشابه وعندما تعاين الذات الآخر وتظهر الفروقات الخلقية والخلقية والإيديولوجية تبدأ الهوية بالشكل ويبرز الوعي بوجود هوية الآخر أيضا[1] وبما أن روايتنا محل الدراسة موضوعها الذات الفلسطينية فالأكيد أن هناك زخما في صورة كل من الذات والآخر.

1- صورة الإسرائيلي المعادي:

وهو الآخر الذي يكن مشاعر الكراهية للذات الفلسطينية إذ رفضها بكونها تمثل تهديدا لوجوده لذلك يرفض جميع أنواع الحوار الايجابي معها ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يصل إلى الإقصاء والتقزيم وإلى كل ما يمت بصلة إلى النظرة الدونية التي تتغذى من حقده على الفلسطيني وهذا النموذج يسعى إلى «تدمير واجتثاث الذات الفلسطينية عن طرق سياسة التهجير والترحيل لتحقيق حلمه الاستعماري وجشعه الاستيطاني المتمثل في محو دولة فلسطين من الخريطة»[2]، وقد بدا الآخر الإسرائيلي المعادي في رواية ذاكرة عائقة إنسانا بغيض الشكل والمضمون يعيش هاجس الخوف من أن يسترد الفلسطيني ما سرق منه، لاسيما البيت الذي استوطن فيه متجاهلا جريمته

[1]- سعد فهد الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط1، 2009، ص 26.

[2]- ينظر: محمد الداهي: صورة الأنا والآخر في السرد، ص 149-150.

في امتلاك ما ليس له، فحسب مبادئه القوي يأكل الضعيف والمسلح يقتل الأعزل وهكذا دواليك.

إن هذا الآخر يجيد الكذب والإنكار على نفسه وعلى الذات، وهو ما يطالعنا في صورة المستوطن اليهودي الذي احتل منزل "سليم" حيث يظهر أول مرة على لسان السارد وهو يعارض تصوير هشام للبيوت الأثرية في القدس والتي كان يمتلكها ويقطن بها الفلسطينيون يقول:ؤ«مع ظهور هشام في الصورة، وقد أخذ يشير بيده شارحا معلقا على ما يجري تصويره، عندما يفتح باب المنزل ليخرج منه رجل بغيض الشكل غاضب حاملا بندقية وهو يصيح على هشام يهدده بالبندقية طالبا منه الابتعاد عن المكان»[1]، إنه الآخر الظالم والمتحجر القلب الذي يستكثر على الفلسطيني نيل أدنى حقوقه، ولو كان الأمر بيده لاستأصل من ذاكرة الذات كل ما من شأنه إبقاءها مرتبطة بأرضها وبهويتها.

وضمن سياق النظرة الدونية المتجذرة في وعي الإسرائيلي المعادي الساعي إلى جعل الذات مرادفا للوحشية والهمجية يحضر الإرهاب كمتلازمة للذات يتلذذ الإسرائيلي بتوصيفه بها ومن تعريفاته أنه «استعمال العنف بواسطة مجموعة قومية أو منظمة سرية من أجل الحصول على حقوق سياسية أو اجتماعية أو دينية، عندما يكون المقصود من هذا العنف تخويف العامة»[2]، وهو ما لا يتماشى مع الذات الفلسطينية المضطهدة لذلك تعجب "سليم" من صياح المستوطن اليهودي بعدما أخبره برغبته في دخول المنزل لدقائق لأنه ولد فيه "إرهابي، إرهابي بالعربية" رغم أن "سليم" كان مسالما ولبقا ولا يحمل أية نية لفعل سوء أو إثارة المشاكل.

وتزداد صورة الإسرائيلي المعادي جلاء بعد اتهام المستوطن اليهودي وجيرانه "سليم" بمحاولة الدخول إلى المنزل بقوة ليسقط القناع عن الآخر المعادي الذي يتفنن في

[1]– ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 34.

[2]– ماجد موريس إبراهيم: الإرهاب... الظاهرة وأبعادها النفسية، دار الفرابي، الجزائر، ط1، 2008، ص 26.

الكذب والمراوغة وهو مستعد لفعل أي شيء مهما كانت دناءته في سبيل القضاء على الذات ولتكتمل صورة الإسرائيلي المعادي على أكمل وجه يستحيل غياب تعطشه لدماء الفلسطينيين، فالقتل مباح بالنسبة للإسرائيلي مادام يدخل ضمن إستراتيجية إبادة الذات الفلسطينية، فسليم بعد موت أمه وأخته الكبرى على اليهود يلقى هو الآخر مصيرهم على يد المستوطن اليهودي الذي «يقطب بعدائية وقد وقعت عيناه على "سليم" يتمتم هامسا الحقير هذا الذي يريد الحصول على المنزل... كيف يتجرأ على دخول منزلي»،[1] ليطلق عليه الرصاصة الأولى وما إن يدخل جاره حتى يضيف الرصاصة الثانية متمتما بحقد وعجرفة «هذا لم يعد منزلك»[2].

2- صورة الإسرائيلي المسالم:

يشكل نقيض الإسرائيلي المعادي حيث يقدم لنا صورة ايجابية عنه تنم عن قابلية الذات للانفتاح على الآخر الإنسان بعيدا عن أي تعصبات أو موروثات عدائية، فهو لا يحمل أي كره أو ضغينة للذت الفلسطينية، إنه يحترمها ويعترف بحقها ففي عيش حياة كريمة دون انتهاكات.

وكثرا ما يرد في الرواية بصفته المساعد والمتعاطف غير الراضي على ظلم واستبداد أبناء أصله للفلسطينيين، ما يكشف أن بعض اليهود «يعترفون بحق الشعب الفلسطيني... وينادون بالسلام والتعايش السلمي»[3]، رافضين كل أنواع العنصرية وتمثل صوفي في رواية "ذاكرة عاشقة" هذه الفئة إنها لا تنتمي إلى الإسرائيليين المستوطنين المعاديين للذات الفلسطينية إلا بالاسم فلو كان الأمر بيدها ما سمحت بالظلم الممارس على الفلسطيني، ودليل ذلك ذهابها إلى مركز الشرطة لتشهد أن "سليم" لم يحاول دخول المنزل كما ادعى والدها بالقوة حاملا السلاح، بل اعترفت بلطفه ولياقته

[1]- ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 209.

[2]- المصدر نفسه، ص 224.

[3]- محمد الداهي: صورة الأنا والآخر في السرد، ص 151.

وهددت بفضح إدارة الشرطة في حالة لم يتم الإفراج عنه ما دفع "سليم" إلى الاندهاش لأن جميع الصور التي يحملها على الآخر صور سلبية حطمتها صوفي باختلافها عن باقي الإسرائيليين وفي اعتراف لها تخبر "سليم" بذلك قائلة:«أنا مختلفة "سليم"، تفكيري مستقل أستطيع التمييز بين الخطأ والصح وهذا الجدار هو خطأ بالمطلق شيء عنصري سبب ظلم لكثير من الناس الذين يريدون فقد العيش بأرضهم»[1].

وبالتالي فالآخر الإسرائيلي المسالم لا يساند السياسة العنصرية المنتهجة من قبل السلطة الإسرائيلية كما تشفق على الويلات التي يلاقيها الفلسطيني من طرف أبناء أصلها، لقد كانت صوفي وبامتياز نموذجا للإسرائيلي المسالم ذلك أنها لم تتوان عن تقديم المساعدات "لسليم" بدءا من تدخلها في إخراج "سليم" من السجن وفرضها على السلطات السماح له بالبقاء في القدس، ثم إعطاءه لدفتر يوميات أخته الكبرى مها الذي وجدته عندما استوطنوا في منزله لتصل أخيرا إلى تحقيق أمنية "سليم" في دخول منزله التي كلفتها حياتها، فوعيها بأحقية الفلسطيني في أرضه ومنزله واعترافها بعيدا عن الأساليب التي يتبعها الإسرائيليون المتراوحة بين الكذب والخداع والتزييف، يستوجب عليها مناصرة "سليم" والخروج من قوقعة الصمت ودوامة الإحساس بالذنب بسبب رؤية المنكر وتغاضيه بالقول والفعل وها هي تنتفض في وجه والدها بعد أن أطلق النار على "سليم" قائلة:«لماذا تريد قتله ألا يكفي أنك سرقت منزله، تريد قتله أيضا، لقد قتلتم أهله مسبقا متى ستشبعون من قتل هؤلاء الناس»[2] وتواصل دفاعها وباستماتة على "سليم" وأصدقائه الذين دخلوا معه المنزل بغية تصوير وتوثيق لحظة دخول فلسطيني منزله بعد أربعين عاما.

والملاحظ في هذا السياق أن صوفي في البداية رفضت الظهور للفيلم لكن بعد أن أصيب "سليم" إصابة بليغة وعلم الجيران اليهود والشرطة بوجود فلسطينيين داخل

[1]– ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 134.

[2]– المصدر نفسه، ص 212.

المنزل وأمرهم بفتح الباب، تستوقف صوفي ديما قائلة:«هيا ديما قبل أن تتصرفي ما رأيك أن تصوريني وأنا واقفة هكذا مع البندقية ثم صوري "سليم" ثم اذهبي»[1]، ومن خلال مواقفها المتباينة هاهنا يمكن أن نستشف رغبة الإسرائيلي المسالم في توجيه رسالة إلى قومه الذين انشطر عنهم ومفادها ضرورة الإحساس بالفلسطيني لأنه يبق إنسانا له الحق في عيش حياة كريمة، وقد نفسر أيضا استشراف صوفي للنهاية المأساوية جعلها تبرئ الفلسطيني من تهمة الإرهاب، فهو لم يدخل غصبا أما على مستوى الرسالة الموجهة للذات العربية الفلسطينية فتصحيح نظرتها العدائية لا تستثني أي هو هدفها الذي تطمح من خلاله إلى تأسيس علاقة قائمة على مبدأ الحوار الايجابي وممارسة صوفي الجنس مع "سليم" برغبة منها إثبات لهذا، على أساس أنه تعبير عن حالة تواصل بين طرفين، ويرى جورج طرابيشي بهذا الصدد «أن عملية المثاقفة بافتراضها وجود طرفين موجب وسالب، فاعل ومنفعل، ملقح وملقح، تطرح نفسها كعملية ذات حدين مذكر ومؤنث»[2]، ما يحيلنا إلى رغبة الآخر الإسرائيلي المسالم في تجاوز العداء وطرح إمكانية التعايش والاحتواء.

3- صورة الإسرائيلي السلطوي:

أولى الروائيون الذين وظفوا في طروحاتهم الآخر الإسرائيلي عناية كبيرة في رسم ملامحه السلطوية التي تجعله المتحكم بزمام الأمور عبر تشريعه للقوانين وتنفيذه العقوبات التي تتماشى ومآربه الاستعمارية الرامية إلى القضاء على الكيان الفلسطيني الذي يجد نفسه ضعيفا أمام سلطة الآخر بما يمتلكه من قوة مادية وبشرية (السلاح المال، النفوذ، الغلبة) التي تتضافر من أجل ترهيبه وإقصاءه وحرمانه أدنى حقوق الحياة الكريمة لذلك تضمنت هذه الروايات «محاولات الآخر الإسرائيلي لخنق أية

[1]- ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 221.

[2]- جورج طرابيشي: شرق وغرب، رجولة وأنوثة، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1977، ص 11.

محاولة فيها تأكيد للذات وفيها سلطة من نوع ما... فكل الجهات مطوقة بأجهزة الأمن الإسرائيلية»[1].

هذا وأكثر ركزت على إبرازه رواية ذاكرة عاشقة الفاضحة لجميع جرائم وانتهاكات الإسرائيلي السلطوي في حق الذات، حيث يظهر استغلال قوته لمصادره أملاك ومنازل الفلسطينيين ومن مظاهره في الرواية إجابة لويس على "سليم" حين سأله عن سبب إغلاق المدرسة قائلا: «السلطات الإسرائيلية تضع يدها على الكثير من المنازل والأبنية المهجورة في القدس خاصة المدارس لا هي ترممها وتعيدها للاستخدام ولا هي تسمح بالاقتراب منها»، والحال نفسه بالنسبة لمنزل والد "سليم" "حسني الشقيري" الذي سلمته السلطات الإسرائيلية لرجل بولوني.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد فقط لأن هيمنة الإسرائيلي السلطوي بسطت نفوذها على الأراضي الفلسطينية فأضحى مالكها دون منازع وهو صور ذلك، وجود كاميرات مراقبة لفت لويس انتباه "سليم" إليها، حيث ذهبا باتجاه باب العمود.

إلى جانب كثرة الحواجز الأمنية والدوريات العسكرية التي لا تترك فرصة للفلسطيني للإحساس بالحرية، فهو يريد أن يرافقه شعور الخوف بأنه دائما «تحت المراقبة والحصار وهذا ما تسلل إلى "سليم" حين مرت عليه دورية عسكرية»، فجأة ظهرت أمامهما دورية من أربعة جنود مدججين بالسلاح ارتعد "سليم" وهو يواجه أول مرة جندي إسرائيلي «...أحد أفراد الدورية أبدى اهتماما فرمقه بنظرة قاسية متفحصة "سليم" لم يستطع إبعاد عيناه عن عيناي الجندي كمن وقع في الأسر، الجندي يرفع يده مباشرة يوقف "سليم" ولويس بإشارة صارمة مع جذب البندقية أمام صدره كتلميح فج وحاسم لامتلاكه القوة»[2]، وتزداد صورة الآخر في الظهور أكثر عندما تعلم أن دخول الفلسطيني إلى بلده يستوجب عليه طلب الإذن من السلطات الإسرائيلية، فهي من تتولى

[1]– نهال مهيدات: الآخر في الرواية النسوية العربية (خطاب المرأة والجسد والثقافة)، ص 115.

[2]– ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 69–69.

مسؤولية إعطاءنا تأشيرة الدخول والخروج وهو ما حدث مع "سليم" حين اعتقلته الشرطة بتهمة محاولته الدخول بالقوة إلى منزله الذي استوطن فيه اليهود «فالشرطة لا تبالي بالجوازات ولا بجنسية "سليم" الأمريكية طالما هو من أصل فلسطيني ومن سكان القدس قديما، ودخول المدينة هكذا دون أن ينتبه له أحد دون إذن وتصريح يعتبر خرقا أمينا»[1].

لقد أصبح الإسرائيلي هو من يقرر مصير الذات الفلسطينية ويتحكم في شؤونها وممتلكاتها دون إعطائها أي الحق في المعارضة كأنما هو السيد الآمر الناهي وهي العبد الخاضع والراضخ حتى وصل الأمر إلى إشرافها على المسجد الأقصى بإقامة حواجز أمنية تتولى مسؤولية قبل ورفض دخول المصلين ومن صور ذلك «مروان يصل إلى الصف الأول أمام الحاجز يواجه الجنود مندفعا وهو يشتمهم أحد الجنود يرفع يده يشير لمروان يأمره بالتراجع إلى الخلف مروان يرفع الجندي عن الحاجز الجندي ينتفض رافعا سلاحه في وجه مروان مهددا إياه بإطلاق النار ويمثل السلاح الناري القوة التي عن طريقها يمارس الإسرائيليون سلطتهم». وجدير بالذكر أنهم سلحوا جميع المستوطنين لضمن لهم الإحساس بالأمان والمركزية، يقول "سليم" أثناء خوفه من المجازفة للدخول منزله «جميع جيران المنزل من المستوطنين اليهود وأغلبهم يحمل السلاح». أي هناك شعب مسلح وأخر أعزل.

وتستمر الرواية في عرض الكيفية التي يستغل بها الإسرائيلي سلطته لظلم واستبداد الفلسطينيين دون شفقة أو تأنيب ضمير وخير دليل على ذلك مركز المسكوبية الذي هو سجن كبير مخصص لاعتقال الفلسطينيين واستجوابهم دون ذنب أو جرم حتى أن بعضهم لم يتجاوز الخامسة عشر، وهذا السارد ينقل لنا الصورة بعد اعتقال "سليم" بالمركز «الآن جالس في زنزانة مع أناس فلسطين معتقلون مثله بنفس التهمة حتى بعضهم لم يتجاوز الخامسة عشر ذنبهم أنهم في لحظة ما ثاروا لكرامتهم رافضين

[1]– ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، ص 75.

الإذلال من قبل جنود الاحتلال فتمردوا عليهم فاعتقلوا وأرسلوا إلى هنا». ما يعني أن الإسرائيلي السلطوي لا يضع أي اعتبارات أو روادع مقابل إقصائه للفلسطيني سواء كان رجلا أو امرأة، صغيرا أو كبير فالكل سواسية أمام سلطة البطش الإسرائيلي ويشكل جدار الفصل أبرز صورة من صور الإسرائيلي السلطوي الذي بفضل سلطته تمكن من تقسيم القدس إلى شرقية يسكنها الإسرائيليون وغربية يسكنها الفلسطينيون، أما الأولى فعلى حد تعبير "سليم" «تكاد تظن أنها الجنة» أما الثانية فيشبهها "سليم" قائلا:«هذا المناطق الفلسطينية رقدت كجسد ما يلفظ أنفاسه الأخيرة ببطء».

ومما تقدم فالإسرائيلي السلطوي يطوع قوانينه وسياساته وفق ما يتماشى مع مصلحته وأهدافه المسطرة سلفا.

خاتمة

خاتمة:

توصلنا في نهاية بحثنا إلى جملة من النتائج هي كالآتي:

تمثل الذات مركز الخطاب الروائي والأيقونة البارزة في الأعمال الروائية منذ نشأتها إلى غاية يومنا هذا، ما يحيلنا إلى اعتبار الرواية أحد تمظهرات الذات.

يشكل السياق دورا كبيرا في تمثل الذات في الرواية العربية، وهذا ما يتجلى من خلال بواكير الأعمال الروائية التي جسدت الصراع بين الذات والآخر الغرب، كاشفة بذلك عن الهوة السحيقة بينهما.

تمظهرت الذات في الرواية العربية تبعا لسياقاتها، حيث وجدنا انبهار الذات متمثلا في الأعمال الأدبية والروائية المتزامنة مع عصر النهضة، وذلك لم يستمر فبعد الاحتكاك بالآخر بدأ يكشف الوجه الخفي للغرب والمتمثل في ماديته التي تناقض روحانية الشرق، وقد تمثلت لنا الذات الشرقية الروحانية الرافضة لمادية الغرب في رواية "عصفور من الشرق" "لتوفيق الحكيم"، وأمام الرغبة في مسايرة الركب الحضاري كان لابد من نقد الذات وهو ما أتى به يحي حقي في روايته "قنديل أم هاشم" التي طرح فيها الواقع المتخلف وإشكالية الذات المثقفة أمامه، ومع بداية الوعي الناجم عن تخرج نخب متعلمة في مجالات مختلفة كان لزاما أن تصحوا الذات من أوهامها الأمر الذي نلمسه في رواية "الحي اللاتيني" "لسهيل إدريس".

أحدثت نكسة العرب 1967 شرخا في الذات العربية انعكس بدوره على تمثلاتها في الرواية، حيث أصبحت الذات تطرح أسئلة عميقة لا ترتبط بما هو كائن فقط، بل تتجاوزه إلى ما سيكون أو ما ينبغي أن يكون ضمن عملية استشراف أو تمرد معتمدة في ذلك على الإمكانات السردية وحتى الفنية (الجمالية) للرواية، والتي من أهمها العتبات النصية.

في ظل ما تعانيه الذات الفلسطينية من معضلات وتمزقات تأبى الذات في الرواية تجاهلها كان من الطبيعي أن تكتسب خصوصية لافتة تستمدها من مرجعيات الواقع المتشرذم الذي جعل الذات الفلسطينية في رحلة بحث دائمة عن ذاتها.

تضطلع العتبات النصية إلى جانب دورها الجمالي على دور وظيفي، لا يقتصر على الإشهار والإغراء فحسب، وإنما يتجاوزه إلى دور تعبيري يكشف لنا عن الذات المسرودة وكذا يساعد المتلقي على استباقها، وهو ما تجلى عبر عتبات رواية "ذاكرة عاشقة" التي خرجت من دائرة التشكيل الاعتباطي إلى التشكيل القصدي المتواشج مع الذات المسرودة المتجلي ضياعها وصراعها مع الذاكرة ومع الآخر الإسرائيلي.

اكتسبت الذات الفلسطينية في رواية ذاكرة عاشقة خصوصية واضحة بتركيزها على "فلسطيني الشتات" وغوصها في أعماق هذه الذات بطرحها لمحنة "الشتات" وما ينجر عنها من أزمات تأتي في طليعتها أزمة الانتماء بعيدا عن أي تسطيح أو تعتيم ساعية بذلك إلى تعرية الواقع ومن ثم تعرية الذات وما تعيشه من تمزق نفسي وصراع داخلي.

شعور العجز الذي سيطر على "فلسطيني الشتات" يجعله ينأى مختارا الانسحاب مستسلما لسيطرة الروح الانهزامية عليه التي تجعله ينكر ذاته ووطنه بكل مقوماته ليتزايد بذلك التهديد الذي يطال الهوية الفلسطينية والمتمثل في الاندثار.

تحرض الرواية في ثناياها الذات الفلسطينية على ضرورة التشبث بالأرض منوهة إلى دور الأسرة في تعزيز حس الانتماء الذي لا يشترط البقاء في الأرض فحسب.

تبدو جلية في الرواية محنة الذات الفلسطينية مع الآخر الإسرائيلي سبب شتاتها والعامل على إقصائها في إطار أهدافه الساعية إلى جعل فلسطين أرضا بدون شعب بطمس هويتها ومحو ذاكرتها، مستعينا باستراتجيات تتمثل في السيطرة على الأماكن

المقدسة والاستيطان وتغيير البنية الديمغرافية للمدينة المقدسة وكذا الاشتغال على تغييره لمعالم الأرض الفلسطينية بإقحام ثقافته ولغته فيها.

يكتسب الموت عند الذات الفلسطينية دلالات ومعاني أخرى مضادة للمعنى الحقيقي المعادل لنهاية حياة الإنسان، إذ يرتبط الموت داخل فلسطين بالحياة آخذا معاني الاستشهاد، التضحية، الشرف، عكس الحياة خارج فلسطين التي تصبح معادلة للموت بما تحمله من معاني الألم والمأساة والانهزام والجبن والعار.

قائمة المصادر والمراجع

-المصادر:

1. ممدوح البقاعي: ذاكرة عاشقة، مؤسسة زين المعاني لتجارة الكتب والبرامج والوسائط الإلكترونية، ص1، 2010.

2.توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، دط.

3.سهيل إدريس: الحي اللاتيني، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط14، 2006.

4.يحي حقي: قنديل أم هاشم، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1940.

-المراجع:

5.إبراهيم الدقاق وآخرون: القضية الفلسطينية وتحديات الوجود والهوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 2005.

6.أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، 1991.

7.أحمد محمد عبد الخالق: قلق الموت، عالم المعرفة الكويت، 1998م، د.ط.

8.أحمد ياسين ا"السليم"اني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط1، 2009.

9.أزراج عمر طقوس: بناء الغيرية، جريدة الخبر اليومية، الجزائر، العدد 5931، 2010/03/10م.

10.أمين عثمان: توظيف التراث في الرواية التونسية أسرار صاحب الستر لإبراهيم برغوثي نموذجا، الدار التونسية للكتاب، سلسلة إضاءات 3، 2012.

11.بشرى البستاني: قراءات في الشعر العربي الحديث دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط1، 2002.

12.بعلي حفناوي: تمثلات الممنوع والمقموع في الرواية العربية المعاصرة، دار اليازوري العلمية، ط1، 2016.

13.جابر عصفور: زمن الرواية، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2006.

14.الجميلي محمد مطلك صالح: السرد الرسائلي قراءة في سيرة الجسد وصهيل المطر الجريح، دار غيداء، 2016.

15.جودي فارس البطاينة: شخصية الآخر في الرواية في الأردن، مؤسسة الوراق، ط1، 2004.

16.جورج تنوري: دراسات موضحة عن الإنسان مادة الفلسفة العامة، دار الفرابي، ط1، 2010.

17.جورج تنويري: دراسات موضحة عن الإنسان مادة الفلسفة العامة، دار الفرابي، ط1، 2016.

18.جورج طرابيشي: الأعمال النقدية الكاملة، الجزء الأول، دار مدارك، ط1، 2013.

19.جورج طرابيشي: شرق وغرب، رجولة وأنوثة، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1977.

20.حسن الكيري: مؤانسات نقدية، دار لمار للنشر والتوزيع والترجمة، 2019.

21.حفيظ طبابي: البناء الوطني وتحديات الاستقلال، الدار التونسية للكتاب، 2011.

22.حميد الحميداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991.

23.خليفة غيلوفي: التجريب في الرواية العربية رفض الحدود وحدود الرفض، الدار التونسية للكتاب، 2012.

24.رياض القرشي: البنيوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في المغرب، دار حضرموت للدراسات والنشر، اليمن، ط1، 2008.

25.زايد محمد إرحيمة الخوالد: صورة المكان في شعر عز الدين مناصرة، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012.

26.سعد البازغي: شرفات للرؤية، العولمة والهوية والتفاعل الثقافي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط5، 2005.

27.سعد فهد الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي إلى حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009.

28.سليم جيهان وآخرون: الثقافة العربية (أسئلة التطور والمستقبل).

29.صالح وديس: الصورة اللونية في الشعر الأندلسي، دار مجدلاوي عمان الأردن، ط1، 2014.

30.الطاهر لبيب وآخرون، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999.

31.عادل محمد العضايلة: القدس بوابة الشرق الأوسط، درا الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2007.

32.عبد الحق العابد: عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

33.عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص دراسات في مقدمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001.

34.عبد الفتاح الحجمري عتبات النص البنية والدلالة، منشورات الربطة، دار البيضاء، ط6، 1996.

35.عبد القادر شرشال: بناء الآخر والهناك في الرواية المغاربية، بحث عن الفردوس المفقود، جامعة وهران ضمن أعمال الملتقى الدولي حول السرديات، أسئلة الهوية في الخطاب السردي، جامعة بشار، الجزائر، 2001.

36.عزيز القاديلي: الصورة، الإنسان والرواية عبد الرحمان منيف في "شرق المتوسط مرة أخرى".

37.عصام العسل: في كتابة السيرة الذاتية (مقاربات في المنهج)، دار الكتب العلمية.

38.عصام منصور: المدخل إلى علم الاجتماع، دار الخليج للنشر والتوزيع، 2015.

39.عماد مسلم: خصوصيات تلهوية وتحديات العولمة، دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، ص1، 2004.

40.عمر شريف: ثم صار المخ عقلا، دار نيوبوك، 2013.

41.عمر شريف: ثم صار المخ عقلا، نور للنشر والتوزيع، 2017.

42.فاطمة موسى بين أديس: دراسات في الأدبين العربي والإنجليزي، دار الأنجلو المصرية، 1965.

43.فيصل الأحمر: معجم السيميائيات الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، ط1، 2010.

44.قحطان أحمد الطاهر: مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، دار وائل، الأردن، ط1، 2004.

45.عبد الكبير الداديسي: مسارات الرواية العربية المعاصرة، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، 2018.

46.كيرلست بهجت: اللامكترث، دار توبا للنشر والتوزيع، ط1، 2018، المقدمة.

47.ماجد حمود: صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

48.ماجد عبد الله القيسي: مستويات اللغة السردية في الرواية العربية، دار غيداء.

49.ماجد موريس إبراهيم: الإرهاب... الظاهرة وأبعادها النفسية، دار الفرابي، الجزائر، ط1، 2008.

50.ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، عالم المعرفة، الكويت، 2013.

51.ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م.

52.محمد الداهي: صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2013م.

53.محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.

54.محمد صابر عبيد: جماليات التشكيل الروائي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.

55.محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1987.

56.محمد نجيب التلاوي: الذات والمهماز، دراسة التقاطي في صراع روايات المواجهة الحضارية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

57.مصطفى سويف وآخرون: معم العلوم الاجتماعية الهيئة المصرية للكتاب، 1975م.

58.منصور قيسومة: اتجاهات الرواية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، الدار التونسية للكتاب، 2013.

59.مها عبد الهادي: مشكلة الشتات الفلسطيني في إطار عملية السلام في الشرق الأوسط 1991-1999، ضمن كتاب مستقبل اللاجئين الفلسطينية وفلسطيني الشتات تروات 37، عمان، الأردن، ط2.

60.ميلاد عادل المولى: السرد عند شعراء القصائد العشر الطول، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2013.

61.نبيل عبد العزيز البدري: الانتماء الوطني وعلاقته سيمات الشخصية والتماسك الأسري لدى طلبة الجامعة، ط1، 2017.

62.نزيه خليفي: البناء الفني ودلالته في الرواية العربية الحديثة، الدار التونسية للكتاب، 2012.

63.نهال مهيدات: الآخر في الرواية النسوية العربية في خطاب المرأة والجسد والثقافة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008.

64.نوزاد أحمد عمر: الغربة في شعر كاظم السماوي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

-الرسائل الجامعية:

65.سلاف بوحلايس: صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى العمالي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث، باتنة، 2008-2009.

-المعاجم:

66.أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، مج1، دار صادر، بيروت، لبنان، ط4، 2005.

67.أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2004.

68.جميل صليبا: المعجم الفلسفي، تر: خليل أحمد خليل، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ج2.

69.مجمع اللغة العربية: معجم اللغة العربية المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4.

-المجلات:

70.أيمن طلال يوسف: التفاعل الإيجابي بين المثقف العربي وقضايا الأمة، إدوارد سعيد نموذجا: مجلة الفكر السامي العدد 26، السنة الثامنة 2006.

71.حسين الخراعي، إيمان الشمايلة: مستوى المواطنة والانتماء، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج41، ملحق1، 2014.

72.سليم جيهان وآخرون: الثقافة العربية (أسئلة التطور والمستقبل)، سلسلة كتب المستقبل العربي، العدد 29، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، ديسمبر 2003م.

-الكتب المترجمة:

73.أريغوكون: البحث عن الذات "دراسة في شخصية ودواعي الذات"، تر: عنان نصير، دمشق، سوريا، دط.

74.أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل احمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2001، مج3.

75.تزفيتان تودوروف: فتح أمريكا، مسألة الآخر، تر: بشير السباعي، دار سينا للنشر، مصر، 1992.

76.جان فرانسوا ماركيه: مرايا الهوية، الأدب المسكون بالفلسفة، تر: كميل داغر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005.

77.رث والاس: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع تمدد آفاق النظرية الكلاسيكية، تر: محمد عبد الكريم، الجور عمان، دار مجدلاوي، 2010م.

-المواقع الإلكترونية:

78.عبد الرحيم ضرار: الشرق، غلاف الرواية، عتبة من عتبات النص السردي، https://www.al-sharq.com/article تم الاطلاع: 2019/05/16 الساعة 10:55.

-المراجع الأجنبية:

79. Henri Mitterand: le Discours du roman p.u.f, 1980.
80. Leo H. la marque de titre dispositifs sémiotiques d'une textuelles, mouton, paris, 1981.
81. Roland Barthes: Rhétorique de l'image in communication, N4, pari, 1964.

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات	
المحتوى	الصفحة
شكر	
مقدمة	أ-ج
الفصل الأول: تمظهر الذات في الرواية العربية	
توطئة	5
أولا: في فضاء المفهوم	5
1-مفهوم الذات	5
أ-اصطلاحا	5
2-مفهوم الآخر	8
أ-لغة	8
ب-اصطلاحا	8
3-العلاقة بين الذات والآخر	10
ثانيا: تمثلات الذات في الرواية العربية	13
1-الذات والآخر في الرواية العربية	13
2-عصفور من الشرق واستكشاف الآخر	16
3-قنديل أم هاشم وأوهام الذات	21
4-الحي اللاتيني وصحوة الذات	26
5-رواية الستينيات وتشظي الذات	32
الفصل الثاني: تمثلات الذات عبر العتبات النصية في رواية ذاكرة عاشقة	
توطئة	36
أولا: في إطار المفهوم	37
1-مفهوم العتبات	37
أ-لغة	37
ب-اصطلاحا	38
2-أنواع العتبات	39

ثانيا: الذات والعتبات النصية في رواية ذاكرة عاشقة	**40**
1-صورة الغلاف	**40**
2-عتبة اسم الكاتب	**49**
3-عتبة العنوان	**51**
الفصل الثالث: محنة الذات الفلسطينية وصورة الآخر	
أولا: محنة الشتات وأزمة الانتماء	**62**
1-نكران الذات والعجز عن مواجهة الآخر	**64**
2-مظاهر اللاانتماء عند فلسطيني الشتات	**66**
3-رؤية فلسطيني الشتات اللامنتمي وأسباب اللاانتماء	**68**
ثانيا: ترميم حس الانتماء لدى فلسطيني الشتات	**71**
1-مراجعة قرارات الإنكار	**71**
2-إستراتيجية الآخر الإسرائيلي لطمس الهوية ومحو الذاكرة	**72**
3-إثبات الذات وتحدي الآخر	**82**
ثالثا: صورة الآخر الإسرائيلي	**84**
1-صورة الإسرائيلي المعادي	**85**
2-الإسرائيلي المسالم	**87**
3-الإسرائيلي السلطوي	**89**
خاتمة	**94**
قائمة المصادر والمراجع	**98**
قائمة المحتويات	**106**

ملخص الدراسة:

سعينا في هذه الدراسة إلى البحث عن الذات في الرواية موضحين كيف أن حضور الذات فيها يختلف من مرحلة لأخرى، تبعا للسياقات والظروف التي تواجه "الذات" كفرد، مجتمع، وطن وأمة.

ليتضح لنا أن نكسة العرب 1967 كانت لها تداعياتها على الخطاب الروائي الذي جعلها مركزه ليس على مستوى المضامين والأنساق الثقافية فقط، بل على مستوى فنيات العمل الإبداعي.

ويبدو أن رواية "ذاكرة عاشقة" "لممدوح البقاعي" تطرح موضوع الذات الفلسطينية التي تكتسب خصوصية لافتة نابعة مما فرضته تجربة الاحتلال ومحاولات الاقتلاع من طرف الآخر الإسرائيلي، مما ولد صراعا بين الذات والآخر.

الكلمات المفتاحية: الذات، الآخر، العتبات النصية، الشتات، تمثلات

Résumé:

Nous avons tenu, dans cette étude, de chercher le Soi dans le roman tout en expliquant en quoi sa présence diffère d'un stade à l'autre en fonction du contexte et des circonstances qui le guettent en tant qu'individu, que société, que pays et nation ; pour se rendre compte que le revers des Arabes en 1967 a eu des répercussions sur ce Soi, et ainsi, sur le discours romanesque qui a fait de lui son centre, non plus sur les plans du contenu et des formats culturels, mais sur les techniques du travail de création.

Il semble que le roman "Mémoire d'une amante" de Memdouh El-Bequai soulève la question du Soi palestinien, qui acquiert une intimité remarquable grâce à l'expérience de l'occupation et aux tentatives de déracinement de la par de l'Autre israélien, ce qui a régénéré un conflit entre le Soi et l'Autre.

Mots Clés : Le Soi, l'Autre, les seuils textuels, la diaspora, les représentations